## اضاءات

**من خطاب سيادة الرئيس**
**زين العابدين بن علي رئيس الجمهورية**
**في اليوم الوطني للثقافة**
**14 جانفي 1997**

«وإذ نعلن اليوم بكلّ اعتزاز انطلاق سنة «تونس عاصمة ثقافية» ، فإننا نعرب عن تقديرنا لهذا الإختيار من قبل منظمة اليونسكو لتكون عاصمة بلادنا عاصمة دولية للثقافة طوال عام 1997 ، تكريما لأصالتها وإشعاعها ، واعترافا بما حققته في ضوء القيم الثقافية الخالدة التي تميّز شعبها منذ آلاف السنين» .

«وستظل بلادنا مهدا للتنوير و التحديث والإبتكار ومنبتا للعلماء وأهل الفكر والثقافة ، بموقعها المتميّز في الثقافة العربية الإسلامية ، ومكانتها المرموقة في فضاء الإبداع المتوسطي ، وإسهاماتها على الساحة الإفريقية ، وبتفتّحها على مجتمعات الغرب والشرق من أوروبا إلى أمريكا وآسيا» .

كما نعوّل على المثقفين والمبدعين من أبناء هذا الوطن في الخارج، ليكونوا مثلما جسّموا ذلك في كل المناسبات، خير صوت وأحسن دعم للثقافة التونسيّة في فضاءات حضورهم ومواطن إشعاعهم.

# كلمة الدكتور عبد الباقي الهرماسي

## وزير الثقافة

## في حفل افتتاح

## ندوة «الأدب التونسي بالخارج وجسور التواصل مع الوطن»

سيداتي سادتي،

يسعدني أن التقي بكم في هذه الأمسية الشيقة والاجتماع بهذه النخبة النيّرة من كتاب تونس ومبدعيها، وان هذه الندوة التي تندرج ضمن برنامج تظاهرة تونس عاصمة ثقافية هي إحدى المساهمات الفاعلة لاتحاد الكتاب التونسيين في هذه التظاهرة الهامة ودليل آخر على تجاوب كتاب تونس وأدبائها مع الحركية الحضارية الشاملة التي تشهدها بلادنا بقيادة الرئيس زين العابدين بن علي وبهدي منه.

وأود بهذه المناسبة أن أشكر الشاعر الميداني بن صالح رئيس اتحاد الكتاب التونسيين وبقية أعضاء الهيئة المديرة لهذا الهيكل الوطني الذين بذلوا جهودا كبيرة من أجل توفير أسباب النجاح لهذه الندوة وأتاحوا لي فرصة الالتقاء بثلة نيّرة من أبناء تونس ومفكريها وكتابها.

كما أود التنويه بكتابنا القادمين من الخارج الذين تجشموا أعباء السفر وحضروا بيننا للمشاركة في أعمال ندوتنا وإثرائها بآرائهم ورؤاهم. ونحن نتطلع إلى الاستماع اليهم، ومزيد التعرف على مشاغلهم التي هي جزء لا يتجزأ من مشاغلنا.

سيداتي، سادتي،

إن المكانة التي يحظى بها الكتاب والمبدعون في تونس اليوم لهي خير

حافز لهم لمزيد البذل والعطاء في مجالات الإبداع الرحبة، خاصة وأن ما ينعمون به من دعم مادي وأدبي من الدولة في مناخ يتميّز بالاستقرار والأمن والحرية لا يتوفر بنفس القدر في عديد من البلدان الأخرى.

إن ذلك كله من ثمرات العهد الجديد، ومميزاته والثوابت التي تأسس عليها فكر التغيير. فتونس اليوم تصغي إلى كل أبنائها مهما تناءت بهم المسافات، واختلفت مشاربهم، وتشابكت آراؤهم وأفكارهم. إذ أن تشريك المواطنين من كل شرائح المجتمع في صياغة حاضر البلاد ومستقبلها قد غدا من التقاليد الراسخة في بلادنا منذ تحول السابع من نوفمبر. حيث لم يعد هناك مجال للإقصاء، أو التهميش، واضمحلت نهائيا عقدة «العرجون» التي ظلت قدر الكتاب والمثقفين ببلادنا لزمن طويل. فبلادنا تحتفي بنخبها، توفر لهم المناخ المناسب لتفجير طاقاتهم الإبداعية، وتدعم نشاطاتهم ماديا ومعنويا، وتحفز هممهم إلى مزيد العطاء والتألق، وتفتح أمامهم أبواب النجاح والإشعاع سواء بالداخل أو بالخارج. وهي بذلك تعمل على إدماجهم في الدورة الاجتماعية والإقتصادية، وتعوّل على إسهاماتهم الفاعلة في حركة التنمية الشاملة التي تشهدها على كل الأصعدة.

سيداتي، سادتي،

إن الإحاطة الشاملة بالجالية التونسية بالخارج والمتابعة المستمرة لأوضاعها تعتبر من الخيارات الأساسية للعهد الجديد ومن ثوابت السياسة الرائدة التي أرساها سيادة الرئيس زين العابدين بن علي الذي يولي عناية موصولة ورعاية خاصة لهذه الشريحة ا لمهمة من التونسيين. وقد تجسم هذا الحرص من خلال المبادرات والإجراءات العديدة التي أذن بها سيادته وشملت جميع المجالات، ومن أهمها قراره إحداث يوم وطني للتونسيين بالخارج يكون مناسبة للاحتفاء بهم، وتكريم الناجحين منهم

ومزيد التعرف على مشاغلهم وتمتين صلتهم بأرض الوطن. وقد أكد صانع التغيير هذا التوجه بقوله : «إن إهتمامنا بالتونسيين المقيمين بالخارج جزء لا يتجزأ من سياستنا الوطنية، فهم سفراء مجتمعنا وحضارتنا في بلدان إقامتهم، نصون روابطهم بوطنهم ونحفظ مقوّمات شخصيتهم» .

إن رد الاعتبار للجالية التونسية بالخارج قد تدعّم منذ فجر التحول بالعناية بكتابنا ومبدعينا المقيمين خارج الوطن، وما تحويل ديوان العمال التونسيين بالخارج إلى ديوان التونسيين بالخارج إلا دليل على الأهمية التي ما انفك يوليها نظام العهد الجديد إلى نخب المفكرين والمبدعين والعلماء ورجال الأعمال العاملين خارج البلاد.

ولقد دأبت وزارة الثقافة على تنظيم لقاءات وتظاهرات عديدة بتونس وفي بلاد المهجر تشارك فيها هذه النخبة من التونسيين المهاجرين، ومنها مهرجان المبدعين التونسيين بالخارج الذي شهد إلى حد اليوم ثلاث دورات، والتظاهرات التونسية بفرنسا. ولعلّ من آخر ثمار هذه الحركية إنشاء فرع اتحاد الكتاب التونسيين بباريس الذي يضم ثلة من كتابنا المقيمين بفرنسا.



هذا النشاط وهذه الحيوية اللذين تشهدهما الحركة الثقافية والادبية التونسية في الخارج هي جزء من مشروع حضاري كبير، تسعى بلادنا من خلاله إلى ضمان اندراجها في مسيرةالانسانية بأدوات الإضافة.

سيداتي، سادتي،، اسمحوا لي في ختام كلمتي أن أرحب بكم من جديد، وأشكركم على هذا الحضور المتميّز وأتمنى لندوتكم النجاح والتوفيق ولتونس مزيدا من التقدم والمناعة والعزة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

# ملف العدد

# بانوراما
# الادب التونسي
# في الخـــارج

هذه البانوراما الوجيزة للادب التونسي تقتصر على الانتاج الناطق بالفرنسية لكتاب ولدوا بتونس في القرن العشرين، ويقيمون حاليا بالخارج، وهو انتاج ما انفك عاما بعد عام يشغل مكانة اكثر أهمية، فهو يعد ما يزيد عن مائة عنوان من شعر ورواية ومسرحية ودراسة منشورة ما بين 1958 و1996 في فرنسا وايطاليا وبلجيكا وكندا (انظر البيبليوغرافيا المصاحبة).

ان تاريخ تونس يعطينا علامات فارقة لتطور الانتاج الادبي، وأول ما يلفت انتباه الدارس، هذه المصادفة بين الاحداث التاريخية والآثار الادبية. ففي سنوات الاستقلال الاولى، أي الستينات، أثار كتابٌ يهود ومسلمون التمزق الناجم عن المنفى ومشكل الهوية المؤلم، تلا ذلك صمت عميق حين كان السؤال الجوهري المطروح هو مسالة اللغة : «كيف نكتب بالفرنسية؟» وكان لا بد أن ننتظر الثمانينات لنشهد تطور أدب الذاكرة الموصول ببحث عن الهوية في فضاء متعدد الثقافات. منذ ذلك التاريخ تبدّى تعبير جديد حول الانبعاث الممكن للفرد والسعي الى العودة، ذلك الهاجس الازلي المنشود.

هؤلاء الكتاب التونسيون المقيمون بالخارج ليسوا ضمن الانطولوجيا التي أعدها توفيق بكار وصالح القرمادي (كتاب من تونس، باريس، منشورات

بقلم : هادية خضار

ترجمة : ابو بكر العيادي

سنـدبـاد . 1981) ذلك ان هـذا الادب النـاطق بالفـرنسية ينـدرج والحق يقال خارج التقاليد الادبية التـونسيـة، فقـد ظلت اللغـة الفرنسية، رغم إدخـالها الى تونس منذ القرن التاسع عشر، لغة تداول. واذا «كـانت النصـوص الادبيـة التونسية الاولى المكتوبة بالفرنسية ظاهرة وثيقـة الصلة بالاستعمار» (جـون فـونتـان . تـاريخ الادب التـونسي من خـلال النصـوص ـ الجزء الثاني ـ منشـورات سحر . 1994 ـ ص 197) فإن ألبير ممي كان يرى أنـه «حين يتم الاستقلال وتنوب العربية عن الفرنسية فثمة احتمال بأن يكـون مجمل الانتـاج الادبي باللغة العربية».

(حوار نشر بمجلة مواجهة -Af frontement عـدد 5 ص 10 ـ بـاريس 1957) هـذا الـرأي يعتمـده إي ياتيف I Yétiv في [رسالته الجامعية التي نوقشت عام 1969 في جامعة ماديسون بالـولايات المتحـدة الامريكيـة ثم نشرت عام 1972]، حيث يتحدث عن «نضـوب (ذلك الادب) وعن لغة لا مستقبل لها».

في الواقع، يعاني هذا الادب من اقصاء مزدوج ولا ندري بالضبط أين ندرج هؤلاء الكتاب ؟

هـذه الـدراسـة إنما تهدف الى وضـع تسلسل لمتـن الكتـاب التـونسيين المقيمين بـالخارج. وبصرف النظـر عن مقـاييس

الموطن واللغة، المعتمدة حتى الآن، نلاحظ ان الادب التونسي الناطق بالعربية له ما يكمله في الخارج، وهو ما يجعلنا نضع تعريفا أوسع للادب التونسي : آثار مكتوبة بالفرنسية أو بالعربية من قبل مؤلفين لغتهم الام هي العربية أو الفرنسية، وهم مقيمون بتونس أو بالخارج.



ما يمكن ملاحظته أيضا ان المصادر البيبليوغرافية لجان ديجو والبير ممي وقي دوقا (الادب اليهودي المغاربي الناطق بالفرنسية بين جحا وغاغيوس، لا مارتان 1991) يعتورهما نوع من الاخلال فيما يتعلق بالسنوات العشر الاخيرة.

أول ما يسترعى الانتباه أن هذا الادب ليس فقط نتاج مثقفين وجامعيين يطغى عليه البحث العلمي والتخصص (عبد الوهاب المؤدب، هادي بوراوي، طاهر البكري، مجيد الحوسي) وإنما هو أيضا وليد تجارب ذاتية متصلة اتصالا أوثق بالحياة الاجتماعية والسياسية. يمكن ان نذكر بعض أعمال مؤلفوها إما سينمائي (منصف المطوي : اكرهك يا عنصرية) أو مسرحي هاو (طارق الساكر : سحب المخاوف) أو جراح (أيمن عبد الرزاق الجبالي : عدالة للجميع) أو رسام عصامي (شريف الوسلاتي : الثمرة في الكاس، الدودة في الثمرة).

هل يجوز لنا أن نفترض أن هؤلاء الكتاب، المنحدرين من آفاق متباينة، المقيمين في بلدان مختلفة، يلتفون حول مشاغل وثيمات مشتركة؟ هل نحن إزاء أدب

تــونسي في المنفى أم أدب بقــاء أم انبعاث ؟

من هذه الآفـاق المتناثرة تتجلى ثيمات ثـابتـة مثل منــزلـة اللغـة الفـرنسيــة، تعـارض المكتــوب والمنطـــوق، مشـــاكل الانتماء، القضـــايـــا الكبرى ذات الطـــابع السيـاسي والاجتماعي، البحث عن الهوية والنظـرة الى الآخر، البحث عن الــذات واستئصــال الفــرد، خطاب الذاكرة، وأخيرا مـوضـوعة العودة القائمة.

* * *

إن مساءلة مفهـوم المنفى ذاته وكـذا الإبعـاد والغربـة والهجـرة معناها طرح السؤال حول ضرورة خلق خـارج طوبـولوجي، فثيمتـا المنفى والهويـة حاضرتـان في هذا الادب بشكل دوري منـذ بـداياتـه حتى يومنا هذا (الهاشمي البكوش : عقيـدتي باقيـة، 1958ـ سيـدة قرطاج، 1959 ـ ألبير ممي : صنم الملح، 1977 ـ ماركـو كوسكاس : لم يغمـض لي في الصيـــف جفـن، 1996).

واذا كـان الاغتراب مرتبطـا في الغــالب بقطيعــة تـاريخيــة أو سياسية كاستقلال تونس أو أزمة بنـــزرت او الحرب الاسرائيليــة العربية عام 1967، فانه يمكن أن يكون أيضا تلقائيـا كما هو الشان مع أمينــة السعيــد التي كتبت : «الاغتراب هــو قفـــزة خـــارج الحلقـة... هروب من عـالم مغلق، رغبـة في الانفتـــاح، نكهـة نـــور مغاير». ومن هنا، فان الاغتراب لم يعد مسالة جغرافيا وأمكنة، وانما هـو تمزق لأن الفـــراق مـؤسس للنص الآتي، وبـــالتـــالي يعمل في رحمه بذرة الخلق. صــلاح الدين البحيري في كتـابه «من لا مكـان» يصف بســذاجــة هـذا التمـزق : «مراد فرنسي بالتجنس، يراهن على الانـدمـاج فيمنى بفشل ذريع ولا يفكر حينئذ الا في العودة إلى أرض الوطن، أما ديـن المضطهد والمهان فانه لا يحلم إلا بالفرار من تونس بـورقيبـة. كـلاهما إذن بـذهنـه حقيبة».

والاغتراب بـوصفــه مصــدر

ضيق وقلق (لطفي السلمي : صوت في الليل) هو حنين وفراق كما يتجلى ذلك في مجاميع طاهر البكري الاولى. شيئا فشيئا تطور احتواء للغربة حتى صار عامل تأسيس في الادب التونسي، في ديوان «نشيد الملك الضلّيل» كنية الملك الشاعر الجاهلي امرىء القيس، يلقي الشاعر نظرة جديدة



على التيه والسعي نحو الضوء، المنفى، المطلق والاندفاع نحو الابعاد الحقيقية للحياة والموت :

**البيداء دفنت ليالي المزبدة**
**أسوار مائجة هي فلائكي المهدهدة**
**ضلّيل اسمك الليل يلعنني والنهار يضنيني**
**كفن ما احمل في ثوبي المقيم**
**هو غاب يفتنه جبينك**
**ام أوتار ذاكرة ينيرها الليل**

نشيد الملك الضليل (ص 15)

مأساة الكاتب التونسي تكمن في علاقته باللغة القومية، صلته بوطنه. والسؤال الذي يطرحه الكتاب هو : لماذا يجب أن نكون كتابا يواجهون هذا الاغتراب؟ كيف نوفق بين الوفاء لتجذرنا ومواجهة الحداثة؟

عندئذ يغدو الادب «نص قول ينبغي ابداعه وهوية جديدة ينبغي اكتشافها» (مصطفى شلبي : التفاحة والعناب، 1989)، فالكاتب يجد في التبادل تفتحه وازدهاره، والهوية في علاقتها مع الآخر تسمح بالتعويض عن قلق الانتساب. في كتابه «بستان الملاحقات» يشيد مجيد الحوسي باغنية حب وذاكرة، حنين ويأس، حيث البطل يبحث عن هويته، والمدن الايطالية، مدن بتراركا ومنزوني، يسكنها شخص

مستأصل يبكي وطنه من خلال السور. والراوي إذ يفر من مكان إلى مكان بحثا عن الذات يخط في المرايا البندقانية رؤية سرعان ما تمحي. الشيء نفسه نجده عند مصطفى التليلي الذي تعتبر رواياته تنويعا حول ثيمة استئصال مثقفي العالم الثالث وغربتهم وتيههم.

إلا أن هذه الغربة لا تتحدد دائما بمكان ما. انها بلد «اللا مكان» الذي يستكشفه طاهر البكري في كل فضاء، فبالنسبة الى الشاعر «كلّ أرض هي بلد الانسان الحكيم، وبالأحرى ليس له بأي أرض بلد»، والقصيد الناجم هو ايضا عن صراع، لا يعرف غير اخضاع البغضاء والعوالم المتشظية:

في عماد الألم
يورط العجيج سواحلنا الهشة
والجفون الظمآى للاودية
هززنا المياه النائمة
هناك، الحضور يحضن اصواتا من ملح
في شعلة المسافات القصيد الاخوي.

مسابح الوصل (ص 107)

من جهته، يصبح هادي بوراوي مواطنا في عالم «تخرقه كل الانفاس» ويحطم الشعر أطره «المحلية الضيقة» ليسمو إلى أبعاد الكون:

عودة
نهوَى كما نهوِي في الغربة
زنزانة شاحبة تنزوي وبها
ارتعاشها
وحين تفارق نحو اغترابات آخر
قل لنفسك إنك في طريق
العودة الى الهوى
كذا يتكوي ضيق العيش
مثل ملح على الجرح
فيما نتاكسج بالصبر
كطريقة لتغليف شمسنا
والابحار نحو لطخة حبرنا...
لا شيء غير جسور أمل قديمة
تتلألأ في الافق

(Echosmos ص 42)

وها هو يتساءل في iconaison «

جانب من حياة
أم قصاصة عالمية
لكم الحكم

أحلم ببساطة يمكن نقلها، طبيعية
على أسس ثقافية

ويضيف :

معا سوف نبحث في اقاصي العالم
ولن نراوح مكاننا لنجد مكانتنا

(iconaison ص 31)

اذا كان الشاعر يعبر عالما بلا حدود (Without Boundaries) فان مسقط الرأس يظل مكانا مميزا، فالتيه يرده الى المنبت حيث يجد الكاتب المغترب مكانه في الذاكرة. بحثا عن الزمن الضائع، تستعيد راوية هالة الباجي في «عين النهار» جذورها خلال زيارات متقطعة، وتلاحظ، وهي التي تعيش في باريس، أن الواقع تغيّر وكنسته أمواج الحداثة، فتتحسر على ذلك العالم الشديد الحضور الذي يتحول تحت أنظارها. أما فوزي الملاح فانه يطرح قضية العلاقة بين التقليد والحداثة ويلجأ الى تحليل التاريخ والاسطورة (عليسة الملكة الشريدة). عند هادي بوراوي يسبق التيه عالما كونيا حيث تنبجس مدينته الاصلية (عودة الى تينة). كتابة الغربة تعيد نسج أماكن الذاكرة لدى هادي بوراوي الذي يستبق الاحداث القادمة رغبة منه في اعادة صياغة الكون(Vésuviade فيزوفيات). لذلك يكتب المثاقفة ويحاول بلوغ أربعة أبعاد : تونسية، فرنسية، انقلو اميركية وآسيوية.

إذا كان صحيحا ان العلاقات بين الحاضر والماضي ظلت تشغل الحقل الثقافي التونسي منذ الشابي فان ذلك لا يعني تأملا جامدا للماضي ولا هروبا من الواقع، ذلك أن الشاعر يحاول تحويل الماضي الى مستقبل، فالماضي لدى شمس النظير (محمد عزيزة) هو أقصر الطرق لفهم الحاضر وفك رموزه، وانتاجه يأتلف حول حفر دائب، كنوع من اركيولوجيا المعرفة العربية. أما عبد الوهاب المؤدب فانه يحاول العودة الى عالم صوفي (مرثية ابن عربي).

مسار الذاكرة هذا يعيد الكاتب التونسي الى تاريخه أو الى سيرته

الذاتيـة، فمصطفى التليلي في «جبل الاسد» يعيد تـركيب مسار ثلاثين عـامـا قضـاهـا في مسقط رأسـه فريانة، ويكتشف من منفاه البعيد أن «كل واحد فينا يحمل معه ضمن ما يتزود بـه لمواجهة الحياة بعض الصور اللامعـة من تاريخه الذاتي البعيد. هذه الصور تـذكرنا بطول المسافة المقطوعة وصدماتها».

هذا المســار هو في الـواقع أكثر كثافة، ويتحول لدى بعض الكتاب الى عملية استرجـاع للزمن الماضي، بحثا عـن الاصول واعادة تـركيب شجرة انساب متخيلة حيث تمتزج الحضارات الاكثر قدما. الراوي في «فنطـازيا» لـه تأمـلات هو أيضـا حول «شجرة تغتذي جذورها من الطمي الذي أقيم على حـافته البيت الشريف». هـــذه الشجـــرة التي ينساب منهـا، والتي تتغيّـــر فيها الكتابـة البسيطة بتعـاقب الاجيال هي ثيمة كتاب عبد الوهاب المؤدب الـــذي يعيــد رســم منشأ عـــدة حضـــارات مكتـوبـــة، ويضمنهـا أحرفـا صينية وعبرية وسومـرية وحتى هيروغليفيـة، مـــرفـوقـة بترجمات. هذا المشعل الجنيالوجي نجده أيضا عند البير ممي في رواية «العقرب».

من هـــــذا البحـث عن الجـذور تتأتى عـــودة اغتراب ضروريـــة. وسـواء تم الافصـاح عنهـا أم لا، فـان العودة الى الارض الموعـودة بـالنسبة الى اليهـود (العاليـة) أو العودة الى مسقط الـرأس بالنسبة الى المسلمين، تعقبهـــا فيما يبـــدو خيبة محتومة. كتابة الانبعاث هذه أو سـؤال العودة الـدائم يفضي إلى العـدم لـــدى أمينـة سعيـــد التي تتساءل:

من نحن ؟
اصابع مسمّـرة
على زورق الكلمات
ظلال امراة حيث يتمطّى حِداد الليل
(لا مكان آخر ص 9)

فالعودة لـدى أمينة سعيد هي عودة إلى الذات، اذ هي وحدها التي تسمــــح بالتجدد:

انا ضفة نفسي
مكاني المستاصل

مُـذابة
ينهشني الضوء
في زوبعة النهار
أولد لذاتي.

أما لدى طاهر البكري فان الجزء الثالث من مجموعته «مسابح الوصل» يثير مسألة العودة الى تونس. هذه العودة هي محل التقاء لا يوطد عراه غير القصيد:

في عماد الالم
يورط العجيج سواحلنا الهشة
والجفون الظمأى للأودية
هناك. الحضور يحضن اصواتا من ملح
في شعلة المسافات القصيد الاخوي.

إذا سلمنا ان في البدء كان المنفى فان اللقاء هو ما يحتفى به في الختام. ولكن أليس كل مبدع مغتربا بالأساس؟ حينئذ تغدو الكتابة شكلا من أشكال البقاء، فهي تمثل الفرصة المطهرة الوحيدة للفرد الممزق كما يعبر عن ذلك بوضوح إميل في رواية «العقرب» لألبير ممي: «الادب انقذني. أقولها وأعيد. لولاه لكنت دمرت نفسي تدميرا كاملا».

* * *

اذا كان من الصعب أن نأتي على انتاج ثري ومتنوع في الآن نفسه فانه بامكاننا ان نبدي بعض الملاحظات:

هذه الدراسة هدفها وضع تسلسل للمتن فهي تسمح لنا، بصرف النظر عن اعتبارات الموطن واللغة، أن نعرف ان كان لهذا الانتاج تواشج طريف وخصوصية.

هذا الانتاج مكتوب باللغة الفرنسية (باستثناء بعض الكتاب مثل مجيد الحوسي) والكتاب التونسيون يستعملونها كأداة لغوية للتعبير عن أفكار ومشاعر يعتقدون أنها قابلة للترجمة الى شتى اللغات. بعضهم لا يتردد في ترجمة نصوصه بنفسه مثل هادي بوراوي (الى الانقليزية) ومجيد الحوسي (الى الايطالية) وطاهر البكري (الى العربية). هذه اللغة الفرنسية (لغة المستعمر سابقا) صارت لغة مستعمَرة

انضافت اليها كلمات عربية وصيغ وبنى وايقـاع ونَـفَـس تبدو جمعيها أقرب الى اللهجات البربرية العربية منها الى الفرنسية.

هذا النفس القادم من فضاء آخر سرعان ما احدث يقظة وإثارة وصدمة لدى الكتاب التونسيين المقيمين بتونس (من ذوي اللسان العربي أو الفرنسي على حد سواء). ولا شك أن في صدمة هذا اللقاء يتسنى للكتاب التونسيين ان يغنوا تجارب بعضهم بعضا للاعلان عن النص القادم.

لئن ظل الكاتب التونسي في الخارج «بين منـزلتين»، حسب تعبير عبد الوهاب المؤدب فانه ينقل الى شتات الذاكرة رؤية جمالية متعددة الثقافات يجد فيها الفرد مكانه:

غدا فجر
الشمس المشتعله تحتل الافق
في تسلسل
تملك عالما سوف يعود
من أمام، الهوائيات الشواهد تنكر
قيظ حقول الذرة الخُبّازي
خلفنا المناور الحنين تتيح
انطلاقنا في قوس قزح الذاكرة
آخر الاسبوع المنتهي يواري
اليوم الجديد يفرز النخالة
والحُبّ سوف يغدو الامل
وحدها الارض الموطوءة بارجل كثر
ترقع فقدان بكارتنا
فتنبعث اجسادنا المشبعة عناقا
والعقيدة الملغزة سوف تسقي بستان
لقاءاتنا القادمة

(هادي بوراوي Nomadaime ص30)

# ببليوغرافيا الادب التونسي
# الناطق بالفرنسية للكتاب
# المقيمين بالخارج
# من 1958 إلى 1996

(أعدت الباحثة هذا المسح بحسب بلد الاقامة، وبالترتيب الهجائي الفرنسي، وصنفت انتاج التونسيين اليهود على حدة)



## 1 ـ كتاب مقيمون بفرنسا :

**الهاشمي البكوش:**

عقيدتي باقية (رواية) المنشورات اللاتينية الجديدة 1958

غشاء المرغ (مسرحية) المنشورات اللاتينية الجديدة 1959

سيدة قرطاج (رواية) المنشورات اللاتينية الجديدة 19659

**هالة الباجي**

عين النهار (رواية) 235ص ـ موريس نادو ـ باريس 1985

خيبة قومية (دراسة حول انهاء الاستعمار) 158ص ـ ماسبيرو ـ باريس 1982

خط رحلة من باريس الى تونس (مقال هجوي) 127 ـ نوال بلاندان ـ 1992

من قارات ثلاث ـ 73ص ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس 1978
اصطرلاب البحر ـ (قصص) ـ سطوك 1980
كتاب الاحتفاليات محلى برسوم حسين زندوري ـ 55ص ـ بوبليسود ـ باريس 1983

**محمد القاسمي**
شركة الوقت (شعر) ـ منشورات فديروب 1984
مجاعات ـ منشورات أصوات حية 1985

**علي حمودة**
الارض الأم (شعر) ـ نشر بيان ج. اوسوالد 1988
مغترب غريب (قصص) ـ منشورات صالبو ـ 230ص 1983

**أيمن عبد الرزاق الجبالي**
عدالة للجميع ـ لارماطان 1985



**الهادي قدور**
لاظل مجردا (شعر) ـ غاليمار 1984
نهاية قطاف العنب ـ غاليمار 1989
الكرسي الشاغر ـ نشر اوبسديان 1992
الفاتلات ـ رسوم ر. مايو ـ نشر لوطان كيلفي 1995

**الناصر خمير**
حكايات الغولة (باللغتين) 238ص ـ ماسبيرو ـ باريس 1975
الشمس المسوّرة؛ حكايات أم 217ص ـ ماسبيرو ـ باريس 1981

**الشريف الوسلاتي**
الثمرة في الكأس، الدودة في الثمرة ـ مو 1968

**عبد الوهاب المؤدب**

تميمة ـ نشر كرستين بورقوا ـ 1979 ـ طبعة ثانية ـ سندباد 1987

فنطازيا ـ سندباد 1986

مرثية ابن عربي ـ نزال بلاندان 1987

الغزالة والطفل ـ آكت سود 1992

حكاية غربة السهر وردي ـ فتاموغانا 1993

محطات يال الـ 99 ـ رسوم مهدي قطبي ـ فتامرغانا 1995

لقاء (مع ع. المؤدب) ـ ديوان الكتاب ببواتيي 1993

**محمد منصف المطوي**

اكرهك يا عنصرية ـ الفكر الكوني 1973

أصرخ بحظوظي، يليه بعد عشرين عاما، الرسامون التونسيون يغتربون ـ نشر لاتينور 1977

أين هم ؟ ـ نشر كركتار 1980



**ناصف نكبي**

لحظات خلود ـ الفكر الكوني 1985

**رؤوف الرايسي**

قارة بلا هدف ـ سيلاكس 1982

إنحياز، يليه : صمت الغائب ـ نشر اركنتار ـ باريس 1984

**أمينة السعيد**

مشهد، ليل فَتُوت (شعر) 96ص ـ منشورات بريار فيتري 1980

تحولات الجزيرة والموج (شعر) ـ نشر أركنتار ـ باريس 1985

رمال بهلوانية (شعر) 128ص ـ نشر اركنتار والاودية الثلاثة ـ باريس 1988

نارطير (شعر) 46ص ـ طبعة خاصة ـ مرسيليا 1989 ـ جائزة جان مالريو 1989

لا مكان آخر (شعر) 95ص ـ كتابات دي فورج ـ كيبك

الليلة والاخرى (شعر) ـ لودبلو 1992

**الطيب السبوعي**

الحلم المعلق ـ لارمارطان 1994

**لطفي السلمي**

صوت في الليل ـ لارمارطان 1995

**سيرين سليم**

حين يكون للبحر أجنحة (رواية) ـ فلا مريون 1996

**تاج الدين** (إسم مستعار)

ريح فتنة ـ اركنتار 1987

**فوزية الزواري**

قافلة أوهام ـ فالنتين دي سان بوان ـ أوربان 1990

حتى نخلص من شهرزاد (رسالة) ـ باريس 1996

## 2 ـ كتاب مقيمون بسويسرا :

**فوزي الملاح**

نيرون أو الطيور العابرة، يليه لماذا نتقمص نيرون (مسرحية) 60ص ـ نشر بيار ج. اوسوالد 1973

قصر اللاعودة (مسرحية) 62ص ـ نشر بيان ج. أوسوالد 1975

مجمع الناشحات (رواية) ـ سوي 1987

عليسة الملكة المتشردة (رواية) ـ سوي 1988

## 3 ـ كتاب مقيمون ببلجيكا :

**طارق الساكر**

سهب المخاوف ـ لارمارطان 1995

**صلاح الدين البحيري**

من لا مكان ـ لارمارطان 1993

## 4 ـ كتاب مقيمون بايطاليا :

**مجيد الحوسي**

صور انتشاء (شعر) 72ص ـ نشر ريبلاتو ـ بادوفا 1973

إيريس ـ افريقية (شعر) 77 ص ـ نشر سان جرمان دي بري 1981

أهميتا ـ أو (شعر) 96ص ـ نشر ايانو ترمي ـ فرنشيسكي 1981

بستان الملاحقات (رواية) 144ص ـ منشورات نوال بلاندان 1991



## 5 ـ كتاب مقيمون بكندا :

**هادي بوراوي**

موزوكتيل (شعر) 47ص ـ تاور أسوسييت ـ شيكاغو 1966

راجف (شعر) ـ منشورات سان جرمان دي بري ـ باريس 1969

شاسعو التقاطع (دراما شعرية) منشورات سان جرمان دي بري 1969

قياس تشظ (شعر) 130ص ـ نشر كوسموس 1972

فيسوفيات (شعر) ـ نشر سان جرمان دي بري 1976

بلا حدود (شعر) ـ سان لوي فرنسيي ـ سلسلة مزدوجة اللغة 1979

Haïtu-vois ، يليه انتيليات (شعر) 112ص ـ نشر الرؤية الجديدة

1980

قصص الارث ـ نشر ابتنيرس غاليرس ـ طورنطو 1981

الابيات والقفا (قصائد ـ قصص) 60ص ـ تي. سي. في. بريس 1982

Ignescent (شعر) 120ص ـ نشر سيلاكس باريس 1982

L'icônaison (شعر) نشر نامان ـ طورنطو 1985

صدكون (شعر) ـ موزاييك بريس ـ كندا 1986

عودة الى طينة (رواية) 228ص ـ نشر تبر الزمان ـ تونس

**منصف القيطوني**

ان نعيش الواقع (رسالة) 174ص ـ سان لوران ـ كيبك 1974

## 6 ـ كتاب مقيمون بالولايات المتحدة الامريكية :

**مصطفى التليلي**

سورة الغضب (رواية) ـ غاليمار 1975

الصوت نائم (رواية) ـ غاليمار 1978

مجد الرمال (رواية) ـ غارنيي 1982 ـ أعيد طبعها عام 1986 ضمن سلسلة فوليو



جبل الاسد (رواية) ـ غاليمار 1989

## أدب اليهود التونسيين

**جان بيار علالي**

ألبوم صور قاقو وكمونة ـ نشر الارض المستعارة ـ باريس 1980

**روبال عطال**

كتابات من شمال افريقيا الى أورشليم ـ 1984

لم يغمض لي في الصيف جفن (رواية) ـ منشورات جوليار 1996

**شارل لنكار**

الرسالة المتشظية 1984

**ألبير ممي**

هاجر (رواية) 1955

صنم الملح (رواية) ـ نشر بوشي سنتيل 1977

العقرب (رواية) ـ غاليمار 1969

الفرعون (رواية) ـ جوليار 1988

**ماكس ممي**

مارغريت أو موت الانسان ـ 1984



**جورج ممي**

من يذكر مقهى روبنسون 1984



**نين مواتي**

ولدي، أمي (رواية) ـ سطوك 1974

زواج لوسي انريكيز ـ نشر ج. ج. بوقار 1978

حسان تونس (رواية) ـ سوس 1983

السيدة فورتوني (رواية) ـ سوي 1984

اشلرقية (رواية) ـ سوي 1984

العابرة دون نجم (رواية) ـ سوي ــ 1989 جائزة برتو ــ الاكاديمية الفرنسية

وردة من الجزائر ـ فايار 1989

**أندري ناحوم**
حكايات جحا
النجم والياسمين ـ نشر لابريس صوفاج 1979

**حوري مريم بازوتي**
حكايات غواللة ـ منشورات مونتاني ـ باريس 1980

**ميشال سراف**
إشعال الشمعة (قصص يهودية من تونس) 1981

**مارك شالوم**
بعيدا عن بنزرت 1967

**غي سيتبون**
قــاقــو



**أريال زيتون**
سرّة الدنيا 1993

**إصدارات**

HAMADI BELHADJ

LE
BOUQUET
DE
CYCLAMENS

Première édition

# المكان والرؤية
# في «هلوسات ترشيش»
# لحسونة المصباحي

**ملاحظات أولية :**

يقول رولان بورناف وريال ويلّي في كتابهما المشترك «عالم الرواية»، متحدثين عن رواية «مدام بوفاري» لقوستاف فلوبير : «في هذه الرواية التي تتسم بانسجام تام، جاء المكان منظما بالصرامة نفسها التي نظمت بها سائر العناصر، وهو يفعل فيها، ويضاعف تأثيرها ويعبّر في نهاية المطاف عن نوايا المؤلف» (1).

إن هذا التحليل لوظائف المكان وأبعاده ودلالاته يكشف لنا من جهة عن براعة فلوبير في إيلاء المكان منزلة رفيعة في رائعته «مدام بوفاري»، ويبيّن لنا من جهة أخرى أن المكان في الأعمال الروائية ليس مجرد عنصر مضاف أو إطار جامد للأحداث وإنما هو تقنية تتجسد من خلالها وحدة الأثر، وتتشكل ملامح الرواية التي بها يتنزل العمل الأدبي في سياق الأنساق الحافة به آن إبداعه وآن قراءته. وبهذا فان المكان يعدّ مدخلا أساسيا يساعدنا على تبيّن مقروئية النص وما يشده إلى الحياة من صلات.

وقد وجدنا في رواية حسونة




محمد القاضي
كلية الآداب بمنوبة
جامعة تونس الاولى

المصباحي «هلوسات ترشيش»(2) مجالا خصبا للبحث من هذه الزاوية. فعنوان الرواية يشدنا إلى المكان من خلال كلمة «ترشيش» التي يبادر المصباحي إلى شرحها بإيراد قول أبي عبيد البكري في كتاب «المسالك والممالك»: «واسم مدينة تونس في الأول ترشيش» (ص6). إن اختيار الاسم القديم لتونس يمكن أن يعدّ قناعا اجتماعيا أو نفسانيا أو فنيا، كما أن الهلوسات ــ وهي تعني الهذيان ـ محاولة للإيهام بانعدام المنطق وغياب المشاكلة. غير أن هذا الارتداد إلى اسم تونس القديم لا يوازيه في الرواية ارتداد إلى ماض بعيد، فالأحداث تقع في الثمانينات من هذا القرن، وأسماء الشخصيات والمواضع تشهد على ذلك. ومن ثم فإن العنوان يثير فينا تساؤلات متعددة اذ هو مشدود إلى الإطلاق والتحديد، والذاتي والموضوعي، والماضي والحاضر، والتلميح والتصريح.

فإذا نحن أخذنا في قراءة الرواية استوقفتنا منذ الفصل الأول ظاهرة غريبة في هذا البطل المتحدث عنه وعلاقته بالمكان. فالجملة الأولى هي : «خان أجداده البدو في كل شيء إلا في حبهم للترحال والتيه» (ص7). إن هذه الجملة التي تتردد في مواضع شتى

من الفصل الأول (ص ص 12 ـ 14) تحيل على تحوّل المكان، وعدم انشداد البطل إلى موضع معيّن. وهذه الفكرة تظهر لنا في صور متنوعة حتى لتكاد تصبح هاجسا مستبدا بالبطل يدعوه إلى الإفلات من المكان المحدّد إلى المكان المطلق : «يسرح بخياله بعيدا... بعيدا ليرى نفسه مثل الجدة محبوبة ضائعا في البراري القفراء، فلا إنسان يسير، ولا طائر يطير. لاشيء غير الحجر والأشواك والسراب. ويظل يمشي ويمشي، يقطع صحاري وجبالا وأودية موحشة ليصل أخيرا إلى بلاد الأغوال والأهوال» (ص14)، «في الحين ينسى كل شيء، يتيه في البلدان والبحار والمحيطات والأدغال [...] ومرة أخرى يعاوده حلم قديم فيرى نفسه مسافرا في الأرض» (ص16).

غير أن الفصل الأول نفسه يحدثنا عن هاجس آخر مستبد بالبطل هو الرغبة في معرفة المكان الذي وُلد فيه : «ولأيام، يظل يطوف في السهل العريض وفي الهضاب المسلوخة بحثا عن المكان الذي رأى فيه النور أول مرة. وعندما ييأس من العثور عليه يعود مرة أخرى إلى أمه يتشبث بملاءتها، ويظل يسأل ملحّا في السؤال : «ولكن أين بالضبط، قولي أين بالضبط. بالضبط» (ص8).

إن صلة البطل بالمكان قائمة على مفارقة : فهو من ناحية متحلل من كل الروابط التي تقيّده بأرض محددة، ولكنه من ناحية أخرى مهووس بالأصل باحث عن النقطة الدقيقة التي فيها ولد، وهذه المفارقة التي بها انفتحت الرواية تتحكم في النص كله، وتوجه مسيرة البطل الذي انتقل من الريف إلى المدينة، ومن الوطن إلى الخارج، ومن الخارج إلى الوطن، حتى إذا بلغنا من الرواية نهايتها رأيناه يترك الحافلة التي كانت تنقله من المدينة إلى الريف و«ينسلّ هاربا، وبخطوات سريعة يغوص في الأرض الصلدة القاحلة [...] يلبد وراء صخرة كبيرة، ويظلّ ينتظر، مستمعا إلى الأرض وهي تفتح جسدها الصلد الخشن لليل

الخريف [...] « من الصحراء جئت والى الصحراء تعود » يقول، ثم يلفّه الليل » (ص150). إنه عود على بدء، وتحوّل من الرحلة الأفقية إلى الرحلة العمودية، ومن التيه إلى التجذر.

إنّ هذه الملاحظات كفيلة بإبراز الأهمية التي يحظى بها المكان في بناء عالم الرواية، وفي تحديد مسالك الدلالة فيها.



وقد رأينا أن نعالج هذين الجانبين في مرحلتين نفرد أولاهما للمكان ووظائفه السردية، ونخصّص الثانية للمكان ودلالاته.

### I ـ المكان ووظائفه السردية : رؤية المكان

إن ما لاحظناه في عنوان الرواية من تلاعب ومقابلة بين سديم الهلوسات ودقة ترشيش صورة مصغرة مما تنهض عليه الرواية كلها في مسارها السردي من مراوحة بين الإفصاح والتعمية في صور المكان. فالراوي يحدّثنا عن أماكن مضبوطة ـ قد نعرفها وقد لا نعرفها ـ إلا أنها أماكن تحمل أسماء لها خارج الرواية وجود مؤكد، من قبيل «باب البحر» (ص18)، «المرسى» (ص19)، «حلق الوادي» (ص19)، «مقهى باريس» (ص19)، «مقهى الزنوج» (ص19)، «قهوة ستوديو 38» (ص57)، «بار الكوسموس» (ص 63)، «بار الكانيجو» (ص62)، «مقهى الأندلس» (ص77)، «مقهى البرازيليا» (ص79)، «مكتبة العيون الصافية» (ص55)، «مكتبة الكتاب» (ص57). كما يحدثنا عن أماكن أخرى موجودة خارج البلاد التونسية، من قبيل «باريس»، «مدريد»، «دبلن»، «امستردام»، «نيويورك»، «روما»، «كوبنهاجن»، «براغ»، «أثينا»،

«فيينا»، «ميونيخ»، «النمسا» (ص20)، «شارع الأتراك وسط ميونيخ»، «مقهى أدريا» (ص 21)، «بال فيل»، «شارع فارسانجيتوريكس» (ص34)، «سان ميشال» (ص35). ومن شأن هذه الأماكن أن تشدّ الرواية بأحداثها وشخصياتها وزمانها إلى حيّز واقعي وأن تعزّز الوظيفة المرجعية فيها.

ومقابل هذا تحفل «هلوسات ترشيش» بإشارات إلى مواضع أخرى لا يمكن تعيينها إلا إذا توفرت بعض القرائن وقلّما يحصل ذلك. وفي هذه الحالة يزج بنا الرواي في فضاءات غير محددة. فموضع إقامته هو «السهل العريض والهضاب المسلوخة» (ص7)، وموضع إقامته «الدوار» (ص18). وهو يحدثنا عن «المدينة الكبيرة» (ص18)، وعن «الضاحية الصغيرة» التي نجد فيها فندق ريتزا (ص26)، وعن «إحدى الضواحي القريبة» (ص39)، وعن «القرية البحرية شمال البلاد» (ص32)، وعن «إحدى قرى الوسط» (ص40)، وعن «مسقط رأس المجاهد الأكبر» (ص42)، وعن «المدينة البحرية» (ص107)، وعن «المدينة الخضراء» (ص114)، وعن «شارع الريح» (ص67)، وعن «المدينة الموبوؤة» (ص111)، وعن «البلد المجاور» (ص111)، وعن «مدينة قاف» (ص 137).

إن هذه المراوحة المستمرة في رواية «هلوسات ترشيش» بين الإفصاح والتعمية في التعبير عن المكان من شأنها أن تجعل القراءة تنقل لا يهدأ بين مناطق الضوء التي تشتدّ فيها وطأة الاحالات المرجعية، ومناطق الظل التي لا ينشأ فيها المكان إلا بما يضطلع به القارىء من جهد لـلـمّ شتاته وتكوين صورته. وكأننا بحسونة المصباحي يفعل ذلك بسبق إضمار بحثا عن القراءة التوليدية مستخدما الخطاب الايحائي الذي يكاد يُنمي الرواية إلى البنية البوليسية. وعلى هذا النحو فان التصريح بالمكان يساعد القارىء على إدراك معالم الجريمة، أما

السكوت عنه فهو إشارة للقارىء وحضٌ لـه حتى يـرود منـاطق المحظور والغامض والمستور.

على أن للمكان في هـذه الروايـة وظيفة سردية متميّزة أخرى هي أنه كان في كثير من الحالات منطلقا للتداعي، فخروج البطل في جولة ليليـة على الشـاطىء يـردّه إلى الموانىء والبـواخـر الـراسيـة والبحارة المخمورين، ومن ثم يرتد إلى شـانتـال ومغامـرتها الليليـة بشاطئ مـالقة مع الفتى روبـرتو (ص 25 ـ 26). إن المكـان منطلق للتداعي عبر الـذكريـات، ولنـا في شـارع الغـرب مثـال على ذلك واضح. فبـارات الجزائريين تعيد الراوي إلى جـاره الجزائري الفظّ، ثم إلى شـانتـال والسـائحـة الهولانـديـة وبقيـة محاولاتـه الفاشلة مع نساء الغرب (ص 34 ـ 36)، وبهذا يكون التداعي في المكان وفي الزمان أيضا.

إن المكان يتحوّل أحيانا محورا زمنيـا يشق التسلسـل الطبيعي للاحداث ويصبح ذا وظيفة سردية تضطلع بـابـراز المقـابلـة. ففي الفصل الخامس نـرى البطل يسير بشارع باب البحر، لكنه يحدثنا في أثناء ذلك عن أماكن أخرى، ويعود بنا بين كـل موضـع وآخـر إلى باب البحر. وبهذا يغدو الشارع عنصر ربط وتنسيـق بين الـوحـدات السرديـة المختلفـة حتى نصل إلى مقـابلة بين شـارع باب البحـر في حـاضر المغـامـرة، والشـارع نـفـسـه في مـاضي الذكريات، (ص 55 ـ 67) .

وهـذه المقابلـة يلخصها قـول الراوي : «استيقظنا ذات يوم فإذا تـرشيش غير تـرشيش التي عرفنـاها» (ص90)، وبهذا المعنى يكون النص كله مراوحة بين مكان مـاض تعمـره السعـادة والأمل، ومكـان حـاضر يسكنـه الشقـاء والخراب. وتبلغ المقـابلـة أوجهـا حين يعيش البطل في المكـان نفسه حاملا على كتفيه ذكـرياته التي لم يعد يربطها بما يراه الآن رابط.

إن علاقـة الراوي بـالمكان هي التي تحدد في جل الحالات قيمـة المكان ودوره في النص. ولذلك فان القراءة تسير بنا بين مكـان الداخل

الحميم المشحون بالذكريات الايجابية، ومكان الخارج المنفّر المشحون بالمشاهدات السلبية. وعلى هذا النحو نجد الراوي يعيش في المكان الخارجي المنفّر بروح اليفة تضرب بجذورها في الماضي.

إن هذه الملاحظات تقودنا إلى نتيجتين : أولاهما أن المكان يتحرك وفق بنية كنائية تقوم على الجوار، وهو ما طبع النص بشيء من التشظي، فلا نجد فيه خيطا زمانيا ولا تتبعا لمصائر الشخصيات، ولعلّ هذا ما يفسرّ لنا اختيار حسونة المصباحي للفظ «الهلوسات» في عنوان الرواية. وتترتب على هذا النتيجة الثانية وهي أن البطولة في رواية «هلوسات ترشيش» معقودة للمكان، فهو رأس المصطلحات السردية، وهو الخيط الرابط بين الأحداث والشخصيات، وهو الذي يصوَّر وقد جُرِّد من بهائه، فيعمل الراوي على أن يردّ إليه شيئا من روحه المفقودة.

## II ـــ المكان ودلالاته : مكان الرؤية

إذا كانت دراسة المكان ووظائفه السردية قد جعلتنا نرى المكان وحركته في النص، فان الخوض في موضوع دلالات المكان يجعلنا نتخذ المكان مرقاة للرؤية. ذلك أن المكان يعلن عن حضوره منذ العنوان من خلال كلمة «ترشيش». وعلى الرغم من أن المؤلف يبدد جزءا من حيرتنا حين يصرّح بين الإهداء وبداية الرواية أن ترشيش هو الاسم القديم لتونس فان السؤال يظل قائما : إذا كان المكان المقصود هو تونس فلم استعار له المصباحي اسم ترشيش؟ وقد رأينا أن هذا السؤال يمكن أن تقدّم عنه اجوبة ثلاثة، يتحقق من خلال كل منها وجه من وجوه تونس / ترشيش.

### 1 ـ ترشيش الهوية :

على الرغم من كثرة الإحالات على الخارج، فان ترشيش بأماكنها الصريحة والمكنّى عنها تظل بؤرة النص وعموده الفقري، إنها مكان الهوية أو الأصل الذي يتجلى في المدينة العتيقة وقد صوّرت محلاً للخصوصية والغبطة : «تعال

أطُفْ بك في تـرشيش التي ضعت فيها عندما قدمت من الريف أول مـرة... معا يتيهـان في الأشـواق. أصــوات البــاعــة تنشر المرح والطرائف. الأغاني تتابع الواحدة تفضي إلى الأخـــرى [...] روائح الحنـاء، التـوابـل، البخـور، مـاء الـزهر، أعشـاب الجبال المجففـة، مــرق الحمص وسيقـان البقــر، الكتب الصفراء، النـراجيل، الشاي المنعنع، الماضي البعيـد» (ص67 ـ 68).

وتـرشيش هذه هي التي تشدّ النّص من طـرفيه، كما تشدّ حياة عبـد الفتاح خليل مـن البدايـة إلى النهـايـة. فهي تنبجس من سـؤال الصبي أمّــه عن مسقط رأســه. ولكن الأم لا تحير جوابا، بل تشير إلى «السهل العـريـض والهضـاب المسلوخة»، وتقـول : «لقد وضعتك هناك» (ص7). وعدم التحديد هذا يوحي بأن ترشيش كلها يمكن أن تكـــون مسقـط رأس البطل. وفي النهـايــة، حين يغـوص البطل في الأرض الصلـدة القاحلـة يقـول : «من الصحراء جئت وإلى الصحراء تعود، ثم، يلفه الليل» (ص 150)، وكأن الأرض التي شهدت ولادته تتحوّل رحما يبتلعه، فيعـود إليها ويذوب فيها كما خرج منها.

2 ـ ترشيش الجرح .

يخرج لنا الراوي ترشيش وقد ران عليهـــا الحزن : «كم أصبحت كئيبة هذه المدينة» (ص81)، ونزل فيها الموت وحلّ الدمار بكل شيء : «أي لعنـة حلّت بجيلنـا، حـديقـة الاحلام التي كانت زاهيـة، عامرة بألف زهـــرة حينما كنــا في سن العشرين، أصبحت الآن صلعـــاء مثـل رأسي. كل شيء يمـــــوت، يتهاوى، ينـدثر، يتفتت، يفيض في وحل الايام والسنوات» (ص93). إن تـرشيش تصبح نتيجـة لـذلك كابوسا يـوميا مرعبا : «شبت قبل الأوان، وانحنيت تحت هموم هـذا الوطن الضيّق كعـين الابرة [...] لا أنـام إلا قليــلا، ودائما استيقظ وأنا في حـالة مـن الفزع الشـديد، كوابيس وهلوسات تتوالى علي كل ليلة. أرى نفسي مصلوبا على أبواب ترشيش» (ص95). إن تـرشيش على هـذا النحـو أصبحت سجنـا

كبيرا يتجلى لنا في رؤيا البطل حين سافر بالطائرة إلى سكنديناقيا ولكن الطائرة نزلت به في مطار «مدينة مخربة تحيط بها حصون رمادية، وتحلق فوقها أعداد هائلة من الغربان والنسور [...] «نحن في ترشيش» (ص104).

وهذا الخراب الذي حلّ بترشيش شامل لا يمكن إصلاحه . «الخراب اكتمل الآن، ولم يعد بالإمكان إصلاح أي شيء» (ص147). فلا عجب إذن أن تبدو هذه البلاد غريبة للراوي الذي طوّف في الارض وقام بسياحات قادته إلى بلدان كثيرة : «يخيل اليه أن بلاده غريبة إلى حد ما، لأنه لا يحدث فيها ما يحدث في غيرها...» (ص 121).

ولا شك أن هذا المصير الذي آلت اليه ترشيش إنّما مردّه إلى وقوعها بين فكّي كماشة رهيبة جلاداها الفقيه والدكتاتور : «بين الفقيه الحقود، والديكتاتور العجوز المتصابي ليس هناك خلاص للشاعر غير ذلك الحبل المتدلّي من السقف ذات فجر

بلون وجوه ـولئك الذين ينتظرون ساعة المقصلة على سمنت البارد» (ص141).

**3- ترشيش الحلم:**

للحلم في هذه الرواية جانبان أحدهما منزرع في الماضي حين كانت أبواب المستقبل المشرق مشرعة، والآخر ممتد في الحاضر ومتصل بالغرب نجده في تلك الشذرات التي يسوقها البطل والتي تدل على تطور الحضارة وتحقق الحرية. وبين ترشيش الماضية الساكنة في ذكريات البطل وأصحابه، والغرب الذي احتضن البطل ولم يحقق له الجنة رغم أنه لم يسلّط عليه القمع، بين هذين القطبين وترشيش الرازحة في الحاضر تحت وطأة الظلام والخراب تنهض صورة ترشيش جديدة ممهورة بالحلم على سواعد أبنائها المؤمنين.

وبإمكاننا أن نقرأ خاتمة الرواية من هذا المنظور. فالبطل لا يعود إلى المهجر، وإنما ينفصل عن الحافلة العجوز التي كانت تقلّه في طريق الجنوب، تلك الحافلة التي ربما ترمز للمسيرة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعطلة.



## اصدارات

**LA REVOLUTION FRANÇAISE**
**ET**
**LE MONDE ARABO-MUSULMAN**

COLLOQUE INTERNATIONAL
Tunis 9 - 11 novembre 1989

Actes recueillis et présentés par Hédia Khadhar

SOCIETE TUNISIENNE D'ETUDE DU XVIIIème SIECLE

Alif — أليف

Collection SAVOIR

«ينسلّ هو هاربا وبخطوات سريعة يغوص في الأرض الصلدة القاحلة» (ص150). وفي هذه النهاية نبرة إصرار وعناد لا تخلو من استقالة وخذلان.

إن هذه الوجوه الثلاثة لترشيش: الهوية والجرح والحلم تتداخل في هذه الرواية وتتمازج فتنشأ منها الهلوسات، ولكنها ليست هلوسات الجنون بل هلوسات الشاهد الذي اختلطت لديه مشاهداته وذكرياته وتطلعاته.

على هذا النحو تبدو رواية «هلوسات ترشيش» عملا ينوس بين السمة المرجعية التي تطبعها بالمباشرة، والسمة الجمالية التي تجعلها تحلق في اجواء الشعر. ولعل أثر المهجر فيها يتجلّى خاصة في جعلها متارجحة بين الادانة المباشرة التي تحوّلها وصفا تاريخيا، والنزوع إلى تصوير المثل الاعلى، ويتجلى هذا في قيم الحرية والمساواة والديمقراطية، كما يتجلّى في اتسام الخطاب بنبرة شعرية عميقة.

والحق أن هذا النوسان يشدّ الرواية الى سمتين على طرفي نقيض، هما النضال والترف. فهي تندرج في إطار أدب المطالبة لأنها تواجه القمع والاستبداد ورفض الرأي المخالف، مما يذكرنا بروايات عبد الرحمان منيف وخاصة منها «شرق المتوسط»، ولكن البطل فيها شخصية واصفة غير فاعلة في الأحداث، وإن كان من هو راو فاعلا في إنشاء الخطاب.

فإذا أضفنا إلى هذا أن هذه الرواية تدين الماضي بالنسبة إلى زمن التلفظ: أي أنها تدين الدكتاتورية بعد زوالها، وتدين الملتحين بعد انحسارهم، أدركنا أنها ليست نضالا، لأنها بعيدة عن أن تكون فعلا في التاريخ، وانما هي ترف لأنها تكتفي بوصف العاصفة بعد سكونها وذهاب ريحها.

---

**الهوامش:**

(1) R . Bourneuf et R. Ouellet : L'univers du roman, PUF, 1985, p. 105

(2) حسونة المصباحي: هلوسات ترشيش، دار توبقال للنشر، المغرب، 1995، 150 ص

# حول أوجه من الادب الذي يكتبه
## بعض التونسيين بلغة فولتير
## ملاحظات أولية وملاحظات مضادة

محمد مصمولي

**قبل البدء :**

من الاحـاديث التي لا تنتهي كلما بـدات.. حديث الكتـابـة بلغة الآخـر في مجال الابداع مـن حيث شرعية انتماء هـذه الكتابـة إلى أدب الآخر أو إلى أدب الوطن الأصلي لهذا الكاتب التـونسي أو الجزائري أو المغربي.. الذي أقبل على هجرتين إلى الشمال : مغادرة أرض الأجداد.. ومغادرة اللسان العربي.

وفي حين يلجأ أحمد المدني إلى وحدة الأدب المغـاربي معتبرا أن لا أدبـا مغـاربيا إلا في إطـار اللغة الأم، أي اللغـة العربيـة الفصحى، يزعم البكـري التونسي أن التعددية اللغـوية في تونس تقتضي الاعتراف بما أسماه «بالآداب التونسية» ، أي الأدب التونسي المكتوب بالعربية الفصحى، والأدب التونسي المنطوق بالعربية الدارجة، والأدب التونسي المكتوب بالفرنسية أيضا...

وإذا بهذا الحديث الـذي لا ينتهي كلما بدأ يتـواصل بشكل أو بآخـر، من ممـارسة لـلإقصاء والإستثنـاء بـاسم الفصحى، إلى «مثلث البرميد» الـذي يستعيض عن وحدة الأدب التـونسي بإحداث دويلات لثـلاثة آداب يأمل لها البكري، من مـوقع «منفاه» الباريسي أن تتعـايش تعايشـا سلميـا عن طريق تقسيم مفتعل للعـربية إلى خطـابين أحدهما مكتـوب والآخر شفـوي،، وعن

طريق اعطاء الجنسية التونسية للغة فولتير.. دون استشارة ورثة «فولتير» في هذا القرار، ودون استشارة التونسيين بالخارج الناطقين بالفرنسية في هذا القرار الفردي.

أما هذه الطائفة من الملاحظات التي أسوقها، هنا، وبوحي من تجربتي الميدانية لعدة سنوات بالمهجر، فهي مجرد ملاحظات عابرة، وملاحظات أخرى مضادة.. على هامش هذا الحديث الذي لا ينتهي كلما.. بدأ.. إلا ليواصل مدّه وجزره.. بلا انقطاع.

## خصوصية العلاقة بين التونسي ولغة فولتير

... إنّ ما ليس فيه شك عندي ايضا.. هو أن لغة فولتير لم يحل ركبها بتونس عن طريق اجتياح عسكري فرنسي وانما بمبادرة من خير الدين باشا زعيم الفكر الاصلاحي التحديثي التونسي في القرن الماضي، لدى تأسيسه للمعهد الصادقي في سنة 1875، وادماجه للغة فولتير كإحدى لغات التدريس بذلك المعهد، رغبة منه في توظيفها كأداة للحداثة وللتفتح على العصر..



ثم، ولدى اجتياح التراب التونسي وتنصيب نظام الحماية الفرنسية على الوطن، لم يفسد ذلك علاقة الودّ بين التونسي ولغة فولتير فحافظ على اللغة العربية الفصحى وعلى الهوية الحضارية، كأفضل ما يكون الحفاظ، وإذا بالمعهد الصادقي الذي تخرج فيه زعماء النضال الفكري والوطني، من ذوي اللسانين العربي الفصيح والفرنسي القح، يتحوّل تلاميذه والمستفيدون من تكوينه الدراسي إلى جزء من النخبة الوطنية التي وظفت لغة فولتير في الذود عن قيم التراث والهوية ومتطلبات «تأصيل الكيان»، مستخدمة في ذلك النضال ضد الاستعمار... سلاحه اللغوي نفسه، أي هذه اللغة الفرنسية

التي نجد أن محمود المسعدي، باعتباره أحد أقطاب الابداع باللسان العربي، يكتب قصة «المسافر» بلغة فولتير وينشرها في سنة 1942 بمجلة «افريقيا الأدبية» الناطقة بالفرنسية، كما نجد ذلك الرائد الادبي الآخر الدكتور محمد فريد غازي الذي كان له دور فاعل في تكريس الحداثة في صلب الأدب التونسي المكتوب بالعربية، يصدر في سنة 1947 ديوانه «ليل» بلغة فولتير أيضا...

ومعنى هذا أن اللغة الاجنبية التي استضافها الفكر الاصلاحي التحديثي التونسي، منذ 1875، في مناهج التدريس، قد تم توظيفها أثناء فترة الحماية الفرنسية في الدفاع عن اللغة العربية وعن الهوية الوطنية والحضارية وعن الحرية، وحسبك أن بعض رموز الأدب التونسي المكتوب بالفرنسية من أمثال ماريو سكاليزي (الايطالي الأصل) والبير ممّي (اليهودي الأصل) قد انسجموا في ابداعهم الأدبي مع النضال الوطني التونسي ضد المستعمر إلى درجة أن أحدهم أي (البير ممّي) تكهن بنهاية مهمة الأدب التونسي المكتوب بالفرنسية بعد الاستقلال، انطلاقا من اعتباره لذلك الأدب.. **أدب نضال ضد الاستعمار**.. لكن ما حصل هو العكس، فإذا بقطب آخر، من أقطاب التجديد في الأدب التونسي المكتوب بالعربية.. يجدد عملية التواصل مع لغة فولتير بعد الاستقلال، فيصدر ديوانا شعريا باللغتين العربية والفرنسية، جنبا إلى جنب، عنوان غلافه الامامي «اللحمة الحية»، وعنوان غلافه الخلفي(avec ou sans) .. وهذا القطب الابداعي والأدبي هو صالح القرمادي.. العالم الالسني الفذ وأستاذ الجامعة..

بل ان هذه العلاقة التاريخية، علاقة التفتح والحداثة والعشق المتبادل بين التونسي والفرنسية، تتحول بعد الاستقلال، وبرغم التعريب المكثف، إلى

علاقة انتـاج غزير، فإذا بالاصدارات التـونسية الناطقة بالفرنسيـة تناهز.. المائة، في عقد من الـزمن ونصف العقد، أي بين 1970 و1985، الأمـر الذي يجعل البعض يرسمون نقاط الاستفهام بحثا عن الاجابة والتفسير للظاهرة، ويجعل البعض الآخـر يـرسمـون نقـاط التعجـب، تعبيرا منهم عن رفض الظاهرة السالفة الذكر، إجمالا وتصيلا..

وفي هـذا السيـاق نشأ الأدب المكتـوب بلغـة فـولتير في المهجـر التـونسي بالخارج، متدرجا نحو.. «مدونة» جديرة بالدرس وبالعناية..

لكن الحديث الذي لا ينتهي كلما بدأ حـول هذا الأدب يستصيف إلى حلبته الصديق الكاتب «أبا بكر العيادي» ليقول في مقال نشره «بالمسار» ما يلي :

**.. فكيف ننظر إلى هذا الأدب اليوم، وقد صرنا نشهد تزايد عدد الكتاب التـونسيين المقبلين على الابداع بلغـة فولتير، خصـوصا أولئك الـذين اضطرتهم ظروف الحياة إلى الهجرة، أو الذين نشؤوا بعيدا عن وطنهم الأصلي. هل هو أدب تونسي لمجرد أن أصحابـه تونسيو الجنسية أم هو لا يعـدو أن يكـون سـوى أدب فـرنكفـوني يحسب على أدب المحيط من المستعمرات القديمـة، وينضاف إلى أدب المركز ولغته وثقـافته؟ هل هو يعبر، ولو بلغة الآخر، عن هموم المجتمع التونسي ومشاغله وقضاياه، أم هو أدب يتجه فيه أصحابه بالأساس إلى الشعوب التي يعيشون بين أحضانها ..**

كمشروع أجـابة، لا غير، من وجهـة النظـر الشخصية التـي تبقى قابلـة للنقاش، فإنني أميز في هذا الأدب الذي يكتبـه التونسيون بلغة الآخر، بين ما اعتبره رافدا من روافد الثقـافة التونسية بالخارج، شريطـة أن تتوفر في ذلك الـرافـد جسور التـواصل مع الـوطن، ومع الهويـة، ومع مشـاغل الجالية

التـونسية بـالمهجـر، ومع النسق الدني التـونسي الـذي سعى الى تكريسـه المشروع الاصـلاحي التحديثي التـونسي في القرن التـاسع عشر.. توضيحـا وبلورة، أي النسق المدني لتحاور الثقافات..

أما الأمر الثاني، في هذا الأدب التونسي النـاطق باللغة الفرنسية، فهو ذلك الذي لا يهمنـا في شيء، ولا يسعى، من جانبـه، إلى مد جسور التـواصل بينه وبين الـوطن، وكأن التبرير الموضـوعي الوحيـد لوجـوده ينحصر في تبرئة الذات من الانتماء إلى الـوطن وإلى مشاغله، بقصد الانصهـار في أدب المركز، وفي لغته وفي ثقافته..

ألَـمْ يعلن أحـد هؤلاء الأدباء في ندوة من ندوات «جينيـف» اعترافه قائلا على رؤوس الملا : «**ما أنا بكاتب تونسي وإنما أنا.. كاتب عالمي !..**»

## بين التواصل واللا تواصل

يبرر بعض كتّاب المغرب العـربي الناطقين بالفرنسيـة عدم تواصلهم مع الوطن ومع مشـاغل «الهنا» و«الآن» بطموحهم إلى تأسيس أدب عالمي مرورا بكسبهم لمعركة الاثبات لشرعية وجـودهم كأدباء في أدب المركز.. أي كأدباء ضمن اللغة الفرنسية والثقافة الغربية...

وهنا تحضرني قولة سجلتها ماري هاسكل كالآتي :

ـ عندما يقول جبران : «**إنّ الأرض كلها وطني وجميع البشر مواطني**» كان يسرّ إلى ماري هاسكل موضحا : «**لكنني سوري ـ أو بالاحرى لبناني ـ ولبنان خلاق ومدهش..**»

أما ما لاحظه Jean Déjeux بخصوص تبرئة الكتاب المغـاربة الناطقين بالفرنسية من الانتماء إلى أوطانهم.. فهو أن مثل.. هذا «الخجل» من الاعتزاز

بالانتماء لم يوجد قط لدى أدباء حققوا العالمية لابداعهم من أمثال : إسماعيل كدري، وبورجس، وغارسيا ماركيز، وميلان كاندرا...

و... في حين يصرح الكاتب الجزائري جمال الدين بن الشيخ بأن اللغة العربية لا تتيح له أبدا فرصة الالتقاء «بفضاء خلوته» وذلك بدعوى أن عبقرية اللغة الفرنسية.. هي التي تمنحه دائما تلك الفرصة، فإن جبران خليل جبران أبدع باللغتين وحقق العالمية عن طريق لغة شكسبير يقول لصديقته الامريكية ما يلي :

**ـ «الحق يا ماري انني اعتز بـالأدب العربي، إنه اعظم ادب على وجه الأرض. بل انني لا أبـالغ إذا قلت بان فن اليـوم مـدين بافضل مـا فيـه للعرب».**

يقينـا إن الفارق بين جبران الأديب العـربي والعـالمي الـذي يعتز بلغتـه العربيـة أكثر من اعتـزازه بلغة شكسبير التي حققت لـه الكونيـة والشهرة، ويعتـز بوطنـه أكثر من اعتـزازه بأمريكـا التي احتضنته، وبين جلّ هـؤلاء المغاربـة المارسين لتبرئة الذات من الانتماء إلى هويتهم، فرق جـد شاسع، تماما كالفرق بين الثريا والثرى.

لكن من يدري.. فقـد يطلع علينا من من كتـابنا التونسيين النـاطقين بلغة الآخر جبران مغـاربي ينسينا زفرة فيلسـوف الشخروب الذي قـال في باب العتاب :

**ـ «الى متى نصدّق ما تقولون وتكذبنا افعالكم..»**

* * *

ـ ولأن...

حديث الادب الذي يكتبه التونسيون النـاطقون بالفرنسية لا ينتهي كلما

بدأ.. فان الصديق أبا بكر العيادي.. يأبى الا أن يضيف قائلا :

**ـ «لقد عمل الكاتب التونسي المهاجر على ترويض اللغة الفرنسية وصهرها في ذاكرته وحساسيته وثقافته إلا أنه ظل ـ والإستثناء قليل ـ بعيدا عن مقاربة الواقع في راهنيته المتحركة، واقع البلاد وواقع الهجرة، فلا نكاد نلمس صدى لمكابدات المهاجرين ومآسي الغربة ومشاكل الاستلاب والهوية والعنصرية والاختلاف والزواج المختلط، وحلم العودة» (5).**

* * *

## أمّـــا بعـــدُ :

فاعتبارا لكون الكتابة الابداعية بلغة الآخر ليست، في تونس، حكرا على التونسيين المقيمين بالمهجر، وانما هي ظاهرة أدبية بدأت وما زالت تتواصل بداخل الوطن حيث برزت مواهب وطاقات، رفيعة المستوى ومؤهلة مثل غيرها بالمهجر لتحقيق نفس الإشعاع لثقافتنا الوطنية بالخارج ـــ وأنا هنا أشير على سبيل الذكر لا الحصر ـ إلى الشاعر الموهوب المنصف غشام، الذي بدأ في اصدار ديوانه الاول في عام 1970، وإلى الشاعر الرقيق عبد العزيز قاسم الذي بدأ نشر دبوانه الأول في عام 1983، وإلى الروائية المتميزة آمنة بالحاج يحي، والى الشاعرة صوفية القلي، والى محمد رضا الكافي، فان رأيي الخاص، والمتواضع، هو ان الوقت قد حان لتوفير منعطف حاسم للحديث الذي بدأ ولم ينته بعد حول.. هذا الرافد الابداعي التونسي باللغة لافرنسية، بشطريه الوطني والمهاجر، وذلك لمنحه ما يستحقه من واجب التحليل والدرس.

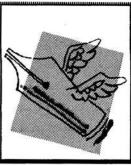
# صورة المَهْجر في «متاهة الرمل» للحبيب السالمي بين حلم الهجرة والرؤية المصاحبة

## 1 ـ «متاهة الرمل» : رواية الهجرة بدءًا ثمّ حدوثًا فانتهاءً

«الجمال بدايةُ الرعب والسفر موت جميل...» (1)

تختزل هذه الجملة ـ الوتد، بطابعها الحكمي، نصا روائيا بأكمله إذ المتاهة وجهان : الجمال والسفر أو الرعب والموت في ضرب من التناسب والاختلاف أو التقريب والتبعيد.

إن «متاهة الرمل» للحبيب السالمي رواية الهجرة بدءا ورواية الهجرة حدوثا ورواية الهجرة انتهاء كان تنشد ثم تدرك.. وبين الغربة وتحقق الرغبة مواطن وصل وفصل، وكذلك الشأن بين التحقق واكتمال مشهد المتاهة بعد أن أسفر الحلم عن رعب حقيقي نتج عن اكتمال الوضع باستحالة الرجوع واستفحال واقع الجحيم



- مصطفى الكيلاني

بعيدا عن الأم والموطن والوطن، وإذا الرواية بمجمل فصولها (الخمسة عشر) إمكانٌ للهجرة فهجرةٌ ثم توغل في عالم الهجرة.. وبذلك تتواصل الفصول في بنية حكائية تتناظم تعاقبا بمقاربة حركة الزمن المعتاد الرتيب أحيانا مع استرجاعات مختصرة تندمج في تلاحم نسق الاطراد كان تقارب الحكاية الوقائع المشاهدة برؤية مصاحبة بواسطة إسناد الحدث إلى الضمير المفرد المتكلم...

وكما قيس مجال السرد العام بالأحداث الثلاثة الكبرى: هجرة ـ ما قبل الهجرة ـ توغّل في زمن الهجرة، تواترت أمكنة ثلاثة: «العَلاّ» (قرية السارد) وباريس وفرنسا عامة، وتلازم هذا الطراد الزماني المكاني وتعاقب حالات ثلاث: الشوق إلى الآخر المهاجر لشعور الأم بالترمل والابن باليتم. وتولّد الرغبة في السفر بعد استفحال هذا الشعور واتساع رقعة الفراغ النفسي، وحال الانفقاد حينما استبدت خيبة الأمل بمنذر الخذيري وتغلقت أمامه سبل الوصول إلى العم الغائب وتلاشى حلمه نهائيا في غمرة السراب المتقادم..

وإذا وصلنا بين أطوار الزمن الروائي

لطراد الزماني المكاني وتعاقب حالات ثلاث : **الشوق إلى الآخر** المهاجر لشعور الأم بالترمل والابن باليتم. وتولّد **الرغبة في السفر** بعد استفحال هذا الشعور واتساع رقعة الفراغ النفسي، **وحال الانفقاد** حينما استبدت خيبة الأمل بمنذر الخذيري وتغلقت أمامه سبل الوصول إلى العم الغائب وتلاشى حلمه نهائيا في غمرة السراب المتقادم..

السفر واستحالة العثور على العم في دلالة الحدث أو الشوق إلى العم المهاجر والضياع الكامل حدّ الانفقاد في معنى الحال الذي ترد إليه مختلف الأفعال والمواقف السردية... وبهذا التركيب المشهدي يتواصل المكان والحدث والحال، ويكون للسارد فيه حضور موقعي باعتباره رائيا متباعدا في البدء ينظر إلى عالم الشمال عبر صورة العم المهاجر، ثم رائيا مباشرا حينما أغرق في التجوال داخل باريس وفرنسا عامة..

فكيف تركبت صورة المهجر تحديدا ضمن الرؤية المتباعدة ثم بالرؤية المصاحبة ؟ وما المشترك بينهما ؟

وإذا وصلنا بين أطوار الزمن الروائي الثلاثة الكبرى تبينّ لنا الطور الأول مختصرا اقتصر السارد في بيان مجمل أحداثه على فصل واحد في حين استغرقت أحداث الهجرة أربعة عشر فصلا وكان الاختصار في التوصيف الأول والاسترسال في رسم حياة المهجر مدفوعين بخطة سردية تقصدت الإجمال في وصف الحلم والتفصيل في بيان نقيضه بدافع الرغبة في الكشف عن واقع المتاهة... وإن تجاذب الرواية في الفصل الأول مكانان : ريف «العلاء» وفرنسا فإنها سرعان ما

تحددت مكانيتها السردية بباريس وفرنسا، واستغرق هذا التحديد، كما أسلفنا، جلّ الفصول، فكانت رواية الهجرة مكانا وزمانا ومحصّل خبرة...

إن الرواية في تركيبها العام ـ بناء على السالف من التوصيف ـ أنساق ثلاثة تتماثل عدا وتتناسبا سياقيا واشتغالا وظيفيا بضرب من التواصل الفعلي المتحرك الذي أمكن ترسيم نظامه العام كالآتي :

## 2 ـ المهجر كما يُرى من بعيد

تنشأ صورة المهجر في الاتجاه الآخر حيث الرغبة في السفر يولّدها حدث الموت... ولا تتحدد هذه الصورة بالمكان والأحداث وإنما هي السمات المجردة لعمّ مهاجر يبرق حضوره من بعيد عبر رسائل ترد إلى السارد وأمه بين الحين والآخر.. إن المهجر ـــ في تعريف بدئي ـــ فضاء منفلت، تنحصر

| | | |
|---|---|---|
| المكان : «العلا» | الحدث : ما قبل الهجرة | الحال : الشوق إلى العم المهاجر |
| المكان : باريس | الحدث : البحث عن العم | الحال : الأمل في العثور على الغائب |
| المكان : باريس وفرنسا عامة | الحدث : استحالة العثور على الغائب | الحال : الضياع الكامل بفقدان العم وشعور السارد بالانفقاد... |

دلالته العامة في شخصية المهاجر المعلوم والمجهول في الآن ذاته.. وإن تناءت به المسافات وتضاءل وجوده الحسي المباشر في حياة الأسرة فإنه سرعان ما استعاد دلالة الرمز الأبوي حينما فارق الأب الطبيعي الحياة..فليست الهجرة ـ بناء على هذا الموت المفاجىء ـ ابتعادا عن الوطن لتحقيق رزق عاجل كآلاف المهاجرين دفعتهم البطالة خلال العقدين السادس والسابع من هذا القرن على وجه الخصوص إلى أوروبا بحثا عن الشغل وإنما هي نتاج استفحال شعور بالفقدان.. وما تأكد غيابا أبديا بموت الأب أمكن في اعتقاد الأم تعويضه بإحضار الغائب مكانا وذلك للحفاظ على بقاء شجرة العائلة واستمرار المعنى في دائرة نظام أبوة واحد.. وما هجرة الابن إلا تسليم برغبة الأم وقد تملكها شعور الخواء لفقدان الزوج واستيقظ فيها حزن مرير.. فأطل وجهها من أقاصي الذاكرة زاخرا بدلالة الحلم، وبدت الحركة متباطئة ببعض التثني الناتج عن تأثيرات زمن بعيد يستعاد بفعل التذكر:

«استدارت جهة الطريق الرملي وأحنت رأسها، وفجأة أجهشت بالبكاء.. كانت تلك هي المرة الاولى التي أراها فيها تبكي بعد وفاة أبي..»(2)، قالت وهي تتفرس في وجهي : «إنه عمك.. لا بد أن تبحث عنه.. أريد أن أعرف هل هو حي أم ميّت..» (3)، وإذا عالم المهجر في بدايات الرواية علامات مكثفة لعمّ غائب تحتاج اليه الأم معنًى كما يحتاج إليه الابن حسًّا ومعنًى.. ولأن هذا العالم مجهول تفصيلا عدا بعض الأخبار النادرة ترد بين الحين والآخر على الاسرة فقد استقطب ريف «العلا» بوقائعه وأشيائه وتفاصيل الحياة فيه مجرى الحكاية.. وما فرنسا إلا إشارات مكانية وزمانية عارضة جمعها السارد أثناء استعداده

للسفر : «في الليل عندما آويت إلى فراشي للنوم أخذت كل الرسائل التي بعث بها، وأغلقت الباب، ثم بدأت في قراءتها باهتمام بالغ. كانت تواريخها متباعدة، وكانت مرسلة من مدن مختلفة، فقد كانت عناوينه تتغيّر بشكل أثار انتباهي. رسمت خريطة فرنسا بأهم مدنها وبدأت أتابع رحلته : 1962 تولون، 1963 انغوليم، 1965 غرونوبل، 1972 ديجون، 1975 باريس، 1976 نانسي، 1981 افينيون، 1982 نيم، 1983 باريس من جديد..» (4) وما خصّ حياة المهاجر عامة والعمّ المهاجر تحديدًا وَرَدَ نُتَفًا من الصور والأخبار في بعض الرسائل» فرنسا واعرة ياسر.. الدنيا صعيبة والعيشة غالية.. تولوز كلها بنْيْ والناس منظمين ياسر، وكل شيء نظيف.. الخدمة صعيبة.. ملْفجر لين تظْلام الدنيا والمصوار باهي والحمد لله..»، «الدنيا باردة ياسر هنا.. برد عمري ما شفتو(...) وخليّ مللمطر، كل يوم تصبّ خيطين مسماء..» (5).

فيرسم السارد بتجميع أقوال العم الواردة في رسائله وجهًا تقريبيًا للمهجر وللأنسان المهاجر يتنقل من مدينة إلى أخرى بحثا عن الاستقرار الذي لا يتحقق.. وإن تنوعت الومضات الواصفة بواسطة العمّ فإنها لا ترسم من المهجر إلا الوجه الظاهر لاكتفاء المراسل بالإعلام السريع وتعمّد إخفاء الجوانب الخاصة بالحياة الفردية وذكر التفاصيل، فلا ينكشف من خبرة المهاجر وواقع الهجرة إلا القليل، ذلك المكان المرتبك المتعدّد، يرد ذكر المدن وعناوين مختلفة، آخرها باريس حيث استقرّ العمّ بعد جولة أعوام، أو كذلك تراءى الموقف للسارد عند إعادة التثبت في آخر رسالة..(6).

### 3 ـ المهجر في رؤية السارد المصاحبة

إن بَدَا المكان الأول مبسطا في

تـركيبـه، محدود الاتسـاع، قليل الصـور والحركــات، شبيهـا بالـدائرة الصغرى الـواحدة، فإن المكـان الثـاني مجمـوع دوائر تتواصل في ما يشبه المتاهة الكثيرة الالتـواء كمـدينـة عمـلاقـة أو كصحـراء لا أول لــه ولا آخـر.. ويتوهم السائر أنـه يتنقل صوب وجهة مـا، ولكن الزحمة تفضي إلى زحمة والمواطن تتنـاسل بجنـون اللحظات الهاربة : «وهـا أنا أتنقل من شارع إلى آخـر ومن مقهى إلى آخر حاملا معي صورته.. صورة صغيرة لـوجـه ضائع في متـاهـة اسمُها باريس..» (7).

ويتفتت المكـان في الازدحـام . «العمارة، الطـابق الثـالث، الممر الضيق القصير، شقـة مـدام ميشـون، الفندق، محطـة ليـون، الحدائق العمـوميـة، الشـوارع، القاطرات، بـاريس، باستيل، سان بـول..، ســوق بـاريس، مقهى الغوتدور، شـارع بوريغو، المطعم التونسي في بـاريس، نفق الميترو في محطـة بلفيل..، الـزقـاق المزدحم بالزنوج، مقهى الزنوج..».

فيختفي «طـريـق الـرمل» والحقول الشاسعـة وامتداد الأفق في زحمة المواطن الضيقـة المعتمة : «الممرات» و «الصالـون الغارق في العتمـة» و«الشـارع الضيق القصير» و«المطعـم الصغير» و «أنفاق المترو والشوارع المزحومة..

وتنقلب الحكـاية من الفـرد أو من الأفـراد داخل الأسرة الواحـدة إلى عـدد لا محدود مـن الشخصيـات تخوض صراعات نفسيـة وذهنية حـادة بين سكان البـلاد الأصليين وبين المهاجرين من المغرب العربي على وجـــه الخصـــوص.. وإذا استثنينا «مادام ميشـون» وحبها العميق للعمّ و«النـادل» الفـرنسي الرافض للتمييز العنصري وموقف السارد الضمني فإن الخلاف حاد بين سكان البلاد الأصليين والعرب المغـاربة(8). كما تبـدو العلاقـات داخل المجمـوعـات المتجـانسـة أو المتشابهة قوميا متوترة(9).

ويتـأكد في زحمـة هـذا العـالم اللا ـ متجـانس ضيـاع الإنسان ـ الفرد وغيـاب المعنى وفقـدان الوجهـة والهدف، فمادام ميشـون فقـدت إلى الأبـد الـرجـل الـذي أحبتـه و«سعيد المراكشي» أمسى سلعـة جنسيـة ببيع رحيـق جسـده للسيـاح الوافدين على فـرنسا من المخنثين و«فطـومـة» تقتـات بجسـدهـا والجزائري المتجنـس ينحبـس في ذكريـات ماضيـه وينتظر مـوته البـارد بمـرارة حـارقـة، فينقلب وجود الفرد والمجمـوعة إلى خواء مرعب يظهر في غياب الأفق وتوتّر النفس بما ينفجر في بعض الأحيان ضحكـا هستيريـا كمـزاح علي الجنـدوبي وفطـومـة ومحفـوظ والشبـان والسـارد في «مطعم السعادة» التـونسي بـ «باريس» (10) أو بما يتردد في الداخل قرفا وبترا وخـواء عنـد حـدوث الفعل الجنسي كحكاية علي الجندوبي مع «نينـا» الـروسيـة : «وفجأة استدارت بحركـة سريعة مثل دابة مهتـاجـة، ووضعت رأسهـا على الأرض، ثم رفعت قليلا مـؤخرتها وبدأت تتأوّه.. صدّقوني.. لم أرَ في حيـاتي مـؤخـرة بشعـة مثل مـؤخـرتها.. كانت ورديـة اللـون وشبيهة بمؤخرة خنزير ضخم..» (11)، وكمضاجعة منذر الخذيري «لمدام ميشـون» التي سرعـان مـا حـاصرتها سلطـة المحـرّم في ذهن الـرجـل المهـاجـر ومنعتهـا من الاستمـرار : «وأغمضـت عينيهـا، وأخذت تدفع بفخذيها في اتجاهي.. استسلمتُ لحركـاتها قليـلا ثم دفعتها بيـدي وقلت دون أن انظر اليها : لا... لا أستطيع..» (12).

فتفضي الأفعال ـ مختلف أفعال الشخصيـات ـ إلى التـوقف مصحـوبـا بـالخواء الـروحي والانهيـار يشمل وجـود الفـرد فيشرف وعيه على حافة النهاية بعد أن فقد الأمل وتملكّه رعب المصير..

فتلتف الحكـاية حـول ذاتها إذ تتكرر محاولات البحث عن الغائب

دون جدوى وتظلّ أسئلة البدء قائمة محيّرة : لـمَ اختفى محمود الخذيري ؟ كَيف، وأين؟ فيبلغ اليأس في خاتمة الحكاية أعلى ذراه ويولد إرادة حياة جديدة إذ يستعيد السارد صورة العمّ بعد أن حاول إتلافها مع الرسالة.. وقد يستمر البحث عن محمود الخذيري ولكن بدافع خبرة جديدة تدفع إلى الإصرار على البقاء في دائرة «الاغتراب الموجع والمضيء..» (13)، تلك الخبرة التي أنشأها السفر وعمقتها حياة الهجرة ودعمتها ثقافة ناشئة جديدة هي محصل اكتشاف الحضارات الإنسانية الأخرى في عالم باريس العجيب..، فيسفر المهجر عن المشهد ونقيضه، إذ هو مجال للتقاطع بين الحياة والموت، بين الواقع والحلم، بين الجمال والرعب، بين الحرية والضياع، بين الرغبة ونقيضها أو نقائضها.. وكما تتردد مشاهد التفرقة العنصرية والغربة وضياع الكائن الفرد تصاعد الموسيقى : «كانت الموسيقى جميلة وحزينة [...] تراءت لي شواطىء البندقية برمالها البيضاء المتلامعة وأمواج البحر الأدرياتي والزوارق الصغيرة الملئية بالسياح وهي تنزلق على المياه..»(14)..

وفي غمرة السواد المستبد تبرق بين الحين والآخر ومضات من الفكاهة والضحك والموسيقى والرغبة والأمل والتذكّر تشي بوجه آخر للجحيم، وإذا المهجر فضاء للموت وللحياة أي هو المشهد ونقيضه إذا ما وصلنا بين حالات الفرد ومحصّل خبرته في الوجود، ذلك ما أدركه السارد حينما نطق لسان حلاه بالحكمة : «الجمال بداية الرعب والسَفَرُ مَوْتٌ جميل..»

## 4 ـ محصل القول : المهجر متعددا

وإذا المهجر ـ بناء على السالف ـ أطوار ثلاثة : هو ذلك الفضاء الغائم يرى من بعيد، ويتراءى مدنا متشابهة وردت أسماؤها في رسائل العمّ وشخصا (مدام ميشون) أو بعض أشخاص لا يعرفون بصفات محددة، وهو باريس على وجه الخصوص حيث

تزدحم الأماكن والوجوه وتعجّ الحكاية بالأفعال والأقوال ثم بالحالات.. فانعكس الفضاء في وعي السارد بعد أن تحوّل من مجال الرؤية المتباعدة إلى الرؤية المصاحبة وتزامن اكتشاف العالم الجديد بالرؤية المباشرة وحدوث الدهشة أو الصدمة التي أنشأت في ذات الرائي شعورا حادا بالضياع تفاقم عند استحالة العثور على الغائب وتلاشي الحافز الأول على السفر، وهو في رؤية ثالثة ممكنة هي وليدة فعل التأويل، استنادا إلى بعض الإشارات الخاطفة، ذلك العالم الممتد الذي لا يعرف الحد وإن بُدىء بباريس، إذ ليس مكانا بعينه وَإن فارق «العلا» و«الأم» و«الوطن»، بل هو أرض الاغتراب الواسعة، ذلك الاغتراب الضروري، بمعنى الخبرة الحادثة، الموجع، المضيء - بلغة الكاتب -، الموت الفاعل إذ «السفر موت جميل».. فتولد الحكاية من الموت (موت الأب) وتتعدد مجاريها السردية داخل فضاء الموت الدافع إلى تحقيق معنى باستعادة الصلة بالغائب، ذلك الوجه الآخر للأب الميّت.. وتنغلق آفاقها كي ترتد على ذاتها بحثا داخل وعي الموت عن رؤية جديدة للحياة.. فتنطلق من موت الآخر القريب إلى وعي الموت الفردي حيث ينتفي أي أثر للمعنى الجاهز المسبق وتكون الولادة الجديدة «بالسفر» الحسيّ والسفر المجازي، أي السفر في أقاصي الأرض والسفر في أقاصي الروح، ذلك هو معنى الهجرة المتعددة ومعنى الاغتراب المختلف.

## المراجع:


1 - الحبيب السالمي، «متاهة الرمل» بيروت - عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1994، ص 135 .

2 - المصدر السابق، ص 7.

3 - نفسه، ص 8

4 - نفسه، ص 12

5 - نفسه، ص 13

6 - «مدام ميشون ومنها الى محمود الخذيري، 12 شارع أوغيست تيريه، 75019، باريس»، نفسه، ص 14.

7 - نفسه، ص 122

8 - انظر قول خليفة العياري، العامل المهاجر، ص 65، وقول الجزائري المتجنس، ص 59، وقول الفرنسي الرافض لهجرة الأفارقة والعرب إلى فرنسا، ص 153.

9 - كاستخفاف الجزائريين بمنذر الخذيري، نفسه، ص 41

10 - «متاهة الرمل» ص 113 - 119

11 - نفسه، ص 127

12 - نفسه، ص 109

13 - ورد في نص الاهداء، من وضع الكاتب

14 - «متاهة الرمل»، ص 135.

# تونس في رواية المهجر





**التشريع للموضوع:**
يمكن الإقرار بسهولة أن الأعمال السردية هي أبرز جنس أدبي كتب فيه الأدباء التونسيون في المهجر. ويشهد على ذلك ما جاء في القائمة المنشورة في العدد الأخير من مجلة «المسار» (العدد 30 ـ 31) رغم كون القائمة منقوصة وتحتاج الى عديد الإضافات من ذلك الشاعر «قيدو المدينة» وغيره من الشعراء والكتاب.

وتكتسب الرواية قيمة توثيقية أكثر مما يكتسبها الشعر، وهذا الأمر يجعل الحديث عن صورة الوطن في هذه الأعمال شرعيا. ورغم هذا فإن الإشكال الذي يعترض الباحث هو أن الكثير من الروايات لم تتأثر بصفة مباشرة بالهجرة فلا يدرك القارىء حضور المهجر إلا من خلال الإشارة إلى مكان الكتابة أو النشر إذا كان خارج البلاد وهذا الأمر

# رواية
# متاهة الرمل
# نموذجا

محمد البدوي

يضيّق مجال اختيار الأعمال التي تتضح فيها صورة الوطن في الهجرة.

وتحقيقا لغاية البحث كان لا بدّ من اختيار رواية كتبت وطبعت في المهجر وتتحدث عن الحضور التونسي في المهجر، وهي رواية الحبيب السالمي «متاهة الرمل» الصادرة في طبعتها الأولى في بيروت سنة 1994. وهي تروي قصة طالب تونسي يذهب إلى فرنسا للبحث عن عمه الذي انقطعت أخباره منذ سنوات عديدة. وتمكّن هذه الرحلة الراوي والقارىء من تأمل الواقع العربي في أحياء باريس وبلفيل.

وهذه الرواية تنسجم بصفة جيّدة مع موضوع الندوة وأهدافها (ندوة الأدب التونسي في المهجر وجسور التواصل مع الوطن). فالقادح للرحلة هو البحث عن العمّ المهاجر بدافع من الأم وفي ذلك تعبير عن الرغبة في تحقيق التواصل مع أبناء الوطن وربط الجسور بين الوطن الأم وأبنائه المهاجرين. وقد لا تكون غاية الراوي أن يعود بعمّه وإنما انتشاله من النسيان وجعل العلاقة بينه وبين الوطن أمتن من رسالة تأتي في فترات متباعدة ثم تغيب.

والبحث عن صورة تونس في رواية كهذه يستوجب النظر في كلّ

تجليات هذا الحضور من خلال الشخصيات وما يشغل بالها ومن خلال كل التفاصيل المادية والفكرية والحضارية وغيرها. وفي «متاهة الرمل» كان للوطن حضور كبير رغم انتظام أغلب الأحداث في باريس.

**الشخصيات:**

تلعب الشخصيات دورا أساسيا في رواية الحبيب السالمي وهي مجموعة أقنعة حرص من خلالها المؤلف على التنويع فلا تكرر شخصية غيرها وبالتالي هي وظيفية يخلف غيابها فراغا ويبدو أن غاية هذا التنويع والإكثار من الشخصيات يسعى إلى جعل المشهد الذي أراد السالمي نحته متكاملا فنجد شخصيات عربية وإفريقية تمثل مختلف الشرائح (عملة وطلاب وعاطلون ومتمعشون... ينتمون إلى الجيل الأول وإلى الجيل الثاني وفيهم من هم من المغرب ومن الجزائر (عربا وبربرا) ومن تونس (من مختلف الجهات: العلا، مكثر، حاجب العيون، جندوبة...) ونجد كذلك عددا من الافارقة وبعض الذين ينتمون إلى البلدان الأوروبية الأخرى كالبرتغال وإسبانيا وبعض بلدان أروبا الشرقية. إضافة إلى قليل من الإداريين من الفرنسيين.

والأمر الذي لا بد من ملاحظته هو أنه لا توجد في الرواية شخصية واحدة تستقطب الاهتمام كلّه وتلعب دور البطولة فالحديث يكون عن أهمية الحضور لا عن البطولة.



ورغم وفرة الشخصيات في الرواية فإن الأدوار الرئيسية قامت بها شخصيات تونسية كانت قادحة لجلّ الأحداث. وبقطع النظر عن بداية الرواية (الفصل الاول) وتدور أحداثه في تونس يمكن أن نذكر الشخصيات التالية:

**الراوي:**

لعب الراوي دورا أساسيا من

غير أن يقوم بدور بطولي بالمفهوم التقليدي للمصطلح فهو الحاضر على الدوام. وقد جاءت متاهة الرمل في رؤية مصاحبة صيغت بضمير المتكلم المفرد وهي طريقة تقتضي أن لا يعرف السارد أكثر مما تعرفه الشخصية ويكتشف القارىء والراوي الأشياء معا. واعتماد ضمير المتكلم المفرد يجعل العلاقة بين الراوي والمؤلف قريبة والمتأمل في الرواية يجد نقاط التقاء عديدة بين الراوي والحبيب السالمي قد تساعد في إثراء العملية النقدية، في غير موضوع الندوة.

إن المتحدث في متاهة الرمل شاب تونسي من مدينة العلا بولاية القيروان لا نكاد نعرف عنه إلا القليل من المعلومات، وهو كذلك لا يعرف من المعلومات ما يكفي حتى تسهل مهمته في باريس وهي البحث عن عمّ له انقطعت أخباره منذ زمن طويل. لكن مستواه الثقافي والفكري سيسمحان له بالقيام بهذا الدور حتى تكون تجربته واعية ذات أبعاد عميقة وليست مجرد رحلة باريسية عادية، فهو طالب في الجامعة. وفي الرواية فقرات تدل على سعة اطلاعه وثقافته الجغرافية والفنية.

ولا يذكر الكاتب اسم الراوي إلا مرة واحدة (ص 16) «منير الخذيري» عندما وجد نفسه مجبرا على أن يعرّف بنفسه إلى مدام ميشون، ولا يقدّم السالمي أوصافا مادية باستثناء بعض التفاصيل الغائمة جاءت على لسان مدان ميشون تجعله يشبه عمه :

ـ هل تعرف أنك تشبهه كثيرا.. نفس العينين ونفس الفم ونفس الأنف.. لاحظت ذلك منذ اللحظة الاولى التي أضأت فيها الصالون (ص 22).

**العمّ : محمود الخذيري :**

تعتبر هذه الشخصية هي الأهم في الرواية والأوضح على الإطلاق رغم عدم ظهورها فكان العمّ هو

الحاضر الغائب وهو قطب الأحداث رغم أننا نستطيع اعتبار وجوده منطلقا لدفع الأحداث وما البحث عنه إلا تعلّة قادت الراوي إلى السفر في الواقع العربي والإفريقي في باريس. وقيمة الرواية تكمن في هذا الغياب، ولو وجد الراوي عمّه لفقدت الرواية أبعادها العميقة ولكانت رواية اجتماعية عادية جدا، لهذا يمكن اعتبار العمّ رمزا لجيل كامل من التونسيين هاجر الى فرنسا لغاية في نفسه فكانت المغامرة التي كشف خباياها الحبيب السالمي في «متاهة الرمل» ولعلّ بقية الشخصيات تمثل جوانب مختلفة من هذا العمّ تحمل همومه وطموحاته وبعضا من تصرفاته.

**محفوظ التونسي :**

صاحب مطعم «السعادة» في باريس وهو مقيم منذ مدة طويلة في فرنسا وله تجربة عميقة في الهجرة والمهاجرين وهو ناقم على شبان اليوم من المهاجرين.

**فطّومة :**

تعمل بالمطعم ومع ذلك فهي تتمعش بجسدها ويستغلها علي الجندوبي للمتاجرة بها.

**خليفة العياري :**

رجل متقدم في السنّ ينتظر الحصول على التقاعد ليعود إلى تونس، يقدّم للراوي معلومات عن عمّه.

**عبد الله الاطرش :**

رجل متقدم في السنّ يعيش بمفرده بعد عودة عائلته إلى حاجب العيون يتمثل دوره في الرواية في ربط الصلة بين الراوي وخليفة العياري. يشكو من الغربة وهو ناقم على الجيل الجديد ويمدح فرنسا في ماضي السنين.

**علي الجندوبي :**

شاب من الجيل الجديد يعيش على الاستغلال والايقاع بالآخرين، يتاجر بفطومة وليس له عمل منتظم، يسيء إلى أبناء البلد بتصرفه

لم يتحـــدث المؤلف عن كيفيـــة وجوده في فرنسا هل هو من الجيل الثاني أم مهاجـر جديد. على كلّ لم يتحـدث عن روابطـه العـائليـة في المهجر.

## عـلاقـة الشخصيـات بالوطن:

أغلب الشخصيـات التـونسيـة مشـــدودة إلى الـوطن بقـــوة ولم يتحـدث السـالمي عـن نفس هـذه العلاقة عنـد الشخصيات الأخرى وصلتهم بـأوطـانهم. أفيكـــون التشبث بالوطن خاصية تونسية ؟

إننـا لانجـد حـديثـا عن أيـة شخصيـــة تـــونسيـــة تسعى إلى الاندماج في المجتمع الفرنسي وحتى محاولات السيـــدة ميشــــون في الـزواج من العمّ بـــاءت بـالفشل والعـلاقـة بينهما بقيـت غـراميـة خارجة عن كل تشريع لذا لم تعمر طويلا :

* مـدام ميشــون : ــ أحببتـه بعمق.. آويتـه وسـاعـدتـه كثيرا.. ضحيت بـأشيـاء كثيرة من أجلـه.. كنت لا أبخل عليه بأس شيء عندما عرفته كان مثل دابـة شائبة.. كان لا يعـــرف كيف يتصرف ولا كيف يتحدث كان لا يعـرف كيف يختار مـلابسـه.. كـان يجهل حتى كيف ينظف اسنانه بشكـل جيد.. غيّرته وصنعت منـــه رجـــلا حقيقيـــا محترما..» (ص 101).

* ــ كنت أريـد أن انجب منـه طفلا.. لم نكن متزوجين.. عمك من الـرجال الـذين لا يحبون الـزواج (ص 102).

أمـا بقية الشخصيـات فكـانت تعيش بمفردهـا دون أن تصطحب عائلاتها وحتى الـذين كانت معهم عائلاتهم أعـادوها إلى الـوطن ولا ينـــوون الإستقـــرار نهائيـــا في فرنســـا :

يقـول عبد الله الاطـرش : رغم طول المدة التي قضاها (18 عاما) :

ـ كانت (العائلة) تقيم معي .. ومنذ سنتين عادت إلى حاجب العيون.. أنا أيضا سأعود.. تعبت (ص 60).

خيلفة العياري : ـ مشكل العمل هو الذي يشده إلى فرنسا :

ـــ تونس ؟ ماذا سأفعل في تونس ؟ أفضل البقاء هنا.. على أية حال سأحال على التقاعد بعد سنتين عندئذ سأعود إلى تونس نهائيا. (ص 68).

وصاحب المطعم محفوظ التونسي ترك أبناءه في تونس لذا لا يعرف عن ابنه الذي يدرس في الجامعة سوى أنه يريد أن يكون محاميا.

وحين يتحدث خليفة العياري عن العمّ محمود الخذيري يبرز صلته بالوطن وطموحه وغايته من الهجرة : ـــ كان عمّك يحدثني عن مشاريعه.. المشاريع التي كان يفكر في إنجازها إثر عودته الى تونس.. نعم كان يريد أن يعود في تلك الفترة ليفلح الأرض.. كان يقول دائما إنه اكتشف قيمة الأرض في فرنسا. (ص 69).

فالهجرة ليست غاية لذاتها بل فرصة لتحسين ظروف العيش أو للتسلح بامكانيات تستغل في البلد. ويظهر التعلق بتونس في مواقف الذين عاشوا فيها مدة ثم تركوها لأسباب عديدة واستقروا بفرنسا ويقول السالمي على لسان محفوظ : اعرف عجوزا يهودية كانت تقيم في حلق الوادي .. تحبّ تونس أكثر مما يحبها التوانسة.

## المكان :

ومن مظاهر الحضور التونسي في الخارج تعامله مع المكان بشكل ينسيه الغربة. فبالرغم من أن الفضاء أجنبي إلا أن أحياء عديدة صارت اقرب الى الفضاءات العربية عموما والتونسية خصوصا مؤثثة بكل ما ينسي المرء أنه في بلاد الغربة. وهذا ما ادركه الراوي منذ حلوله أول مرة بحي باربيس.

فرغم إقامة الراوي في فندق قريب من محطة ليون فان اغلب الاحداث تدور في حي باربيس وهو

حي مشهور بطابعه المميّز فاغلب سكانه من العرب وبالذات من سكان شمال افريقيا (تونس والجزائر والمغرب) والمطاعم والمقاهي العربية متوفرة فيه كما لا تتوفر في حي آخر في باريس وفيه تجد كل انواع الماكولات والتقاليد والملابس والأغاني العربية حتى لكأن المتجول يحس أنه موجود في تونس أو الجزائر أو الدار البيضاء:

* لما خرجت من محطة باربيس وجدت نفسي في سوق صغيرة شبيهة بالاسواق الشعبية في «الحفصية» و«الحلفاوين» (ص 35).

* ماسحو أحذية يتطلعون الى العابرين وهم ينقرون على صناديقهم الخشبية الصغيرة بالفراشي ـ نساء يرتدين ملابس تقليدية جالسات على كراس واطئة خلف أكوام من باقات النعنع والبقدونس ـ رجال متجمعون حول علبة كرتون يقامرون وهم يلتفتون حولهم بعيون حذرة ـ متسولون انتصب احدهم في مدخل المحطة وراح يدعو للمارة بالخير «حويجة لربي.. ربي يتوب عليك ويغفر لك ذنوبك».. (ص 36 ـ 37).

* أعترف أن الشارع كان مفاجأة بالنسبة لي. كنت أعرف أن متواجدون بكثرة في باربيس لكني لم أكن أتصور ابدا أنه يوجد في قلب باريس شارع مليء بالعرب الى هذا الحد ولولا مخفر البوليس الذي يقع بالقرب من الساحة الصغيرة لخلت نفسي في شارع شعبي في تونس او الجزائر ـ وجوه سمراء منغلقة. عيون سوداء حذرة. مقاصب كتب على واجهاتها البلورية بخطوط مختلفة «لحم حلال». مطاعم تعرض لأطباقها وحلوياتها الشرقية..

دكاكين لبيع الاشرطة الغنائية : عبد الحليم، فريد الاطرش، أم كلثوم، علي الرياحي، الهادي الجويني. سميرة بن سعيد، صليحة، نورة الجزائرية، فيروز، ناظم الغزالي، حميد الزاهر، رابح درياسة، شيخة حليمة... (ص 37 ـ 38).

ومما يؤكد خصوصية هذا الحي اننا لم نعترض شخصيات فرنسية، واقتصر الحضور على شخصيات عربية وافريقية وفي أقصى الحالات يذكر المؤلف شخصيات نكرات كالمسافرين والشيوخ والعجائز في الحدائق والمهمشين، وليس في الرواية تواصل بينهم وبين الراوي.

## العلاقات الاجتماعية

تطرح رواية الحبيب السالمي قضية هامة جدا تتمثل في البحث عن العلاقات التي تحكم الافراد والجماعات، لأن متاهة الرمل رحلة في الواقع الاجتماعي بين أفراد اتفقوا في جوانب واختلفوا في أخرى اكثر مما هي عرض لمجموعة من الأفراد، وهذا المكان الذي يجمعهم يجعل الحياة تقوم على مجموعة من العلاقات المتنوعة.

إن الأحياء العربية في باريس تكاد تتحول الى عوالم مغلقة على نفسها كأنها معزولة عن المجتمع الفرنسي أو هكذا اريد لها أن تكون.

وبما أن الرواية رحلة في الواقع العربي في فرنسا يتحتم علينا البحث في العلاقة القائمة بين الفرنسيين والعمال المهاجرين دون أن ننسى العلاقة القائمة بين العمال المهاجرين أنفسهم. فمن خلال هذه العلاقات سيحملون صورة الوطن ويجعلون الاطراف الاخرى تحدد مواقفها انطلاقا من هذه العلاقات.

والمتأمل في متاهة الرمل يدرك أن الصورة المتأتية من هذه الرحلة تقوم على قطبين متقابلين الاول سلبي يعطي صورة قاتمة لا يخفف منها غير القطب الثاني

يضيء جوانب من هذه الصورة.

أ) ـ الصورة السلبية :

تقوم أغلب العلاقات *الاجتماعية على المنافسة والصراع* فنتج عن ذلك أحكام عامة منها أن الأحياء التي يقطنها التونسيون والعرب عموما خطرة لا يطمئن فيها المرء على نفسه فسيطر الحذر على أغلب المواقف سواء كانت مواقف الفرنسيين أو العرب أنفسهم أو الزنوج .

* مدام ميشون : الحي خطر قليلا.. إنتبه الى أوراقك ومالك.. (ص 31).

* عبد الله الاطرش : لم أشعر أبدا بالإطمئنان.. أخاف من الفرنسيين وأخاف من العرب خصوصا من هؤلاء الشبان الذين لا يحترمون أي شيء (ص 59).

* فرنانـدا : لا أحب الأجانب.. أخاف منهم وأتجنبهم (ص 166).

* الكهل المجنون : تونسي.. جزائري.. سينغالي.. مغربي.. لا فرق.. كلهم أجانب.. فرنسا امتلأت بالاجانب.. السود والعرب غزوا بلدنا.. *فرنسا أصبحت مزبلة* العالم.. (ص 153).

* مريـاما : هنا العرب عرب والسود سود في فرنسا لا العرب يخالطون السود ولا السود يخالطون العرب (ص 201)..

سامبا رجل رائع ولكنه يحذر العرب.. لقد وقعت له ذات يوم مشكلة مع جزائري (ص 204).

* سعيد : لا تصدق ما يقوله لك العرب (ص 137).

* القبائلي : التوانسة.. أعرفهم جيدا.. مشاكلهم وخصوماتهم لا تنتهي.. أغلب المشاكل التي حدثت لي هي بسبب التوانسة.. بسبب قحابهم ومخدراتهم وسرقاتهم (ص 41).

ورد الفعل كان طبيعيا من علي الجندوبي : إنه قبائلي يكره العرب ويعتبر نفسه فرنسيا.. ابن

الكلـــــب (ص 42).

ولعل صورة الوطـن تبلغ غاية القتامة حين نـدرك أن العلاقة بين التـونسيين متـوتـــرة تقـوم على الاستغلال وقد تصل إلى العداء :

1) علي الجنـــدوبي : يقـــــوم باستغلال سذاجة الراوي ويوهمه بأنه يعرف عمه.

2) فطومة : تستغل أغلب رواد المطعم وتتمعـش من جســدهـــا وتقول عـــن علي : لا تصدّقـه إنه كذاب ونذل (ص 227).

3) علي الجندوبي يستبلـه عبد الله الاطـرش : «إنه أبلـه قليلا ولا يسمع جيدا» (ص 53).

4) محفـوظ صـــاحب المطعم : نســـاء المغــرب أفضل نســـاء في العـالم.. المرأة المغربيـة تخضع لك بسهولة وتفعل كل مـا تريده منها أمـا التـونسيـــة فهي كـالأفعى.. تمتص دمـك وتسرق مـــالك ولا تعطيك شيئا.

5) عبد الله الاطرش : (عن علي) هذا الشا ب لا أحبه.. أتحاشاه قدر الإمكان وأخاف منـه إنه من هؤلاء الذين أفسدوا فـرنسا بمشاكلهم.. يسرقـون ويبيعـون المخـدرات او يتخاصموم بـاستمرار.. إنه رجل خطر جدا (ص 61).

6) خليفة : هل تعرف من أفسد فرنسا؟ العـرب.. العرب هم الذين افسـدوهـا.. السبـب هـو العـرب وخاصة الأجيال الشابة.. يسرقون ويروجون المخـدرات ويغتصبون النسـاء.. هـؤلاء يجب أن يطـردوا كلهم لقـد أســاؤوا الينـا كثيرا.. شوهـوا صورتنـا أصبحت أشعر بـالخجل حين أقـــول إنني عـربي بسبب هؤلاء الاوبـاش والمجرمين (ص 66).

ولعل هـذه السلبيـة هي التي تجعل مـواقف الفـرنسيين قـاتمة وتلخصها مدام ميشـون في قولها عن العـرب وهي تعنـي في الغـالب المواطنين المغـــاربيين ومـن بينهم طبعا التونسيون : لماذا لا يعودون

إلى بلدانهم.. هؤلاء العرب الذين نراهم في كل مكان.. إنهم يعاملونهم كالبهائم هنا. (ص 24).

## ب) الصورة الايجابية :

لكن هذه الصورة القاتمة لا يمكن أن تكون في اتجاه واحد ولا يمكن أن تطمس جوانب الإشراق في علاقة الشخصيات بعضهم ببعض. فرغم المنافسة الوارد ذكرها أعلاه فإن القارىء يجد تآلفا مغاربيا حرص الحبيب السالمي على إبرازه:

1) عامل الفندق الطالب المغربي سعيد في تآلف مع الراوي ويدعمه ماديا ومعنويا.

2) الشاب القبائلي يساعد الراوي على العثور على بعض العناوين.

3) علاقة الرواي ببقية الشخصيات كانت طيبة قائمة على الاحترام (علاقته بمحفوظ وعبد الله الاطرش وخليفة العياري والشخصيات الافريقية) كلهم يمدون له يد المساعدة للبحث عن العمّ. ومحفوظ يرحب بقدوم الراوي ويدعوه لحضور حفلة عيد ميلاده (ص 110).

علي الجندوبي : عندما شتم التوانسة قررت أن أضربه.. نعم أركله أو أسدد له لكمة وأهرب.

خليفة (عن ميشون) . لو كانت تكره العرب لما عاشرت عمك الفرنسية ليست كالعربية.. (ص 71). كان شابا فرنسيا في عمري. كان لطيفا بشوشا (151).

إن في الواقعة التي حدثت بين العمّ محمود الخذيري وأحد الجزائريين تبرز وجهين متقابلين فهي تصور المنافسة التي تحدثنا عنها ولكنها تترجم انتصار التونسي لأخيه التونسي :

خليفة : علاقتنا ابتدأت إثر حادثة وقعت لي في المقهى.. لقد اكتشفت ان عمك رجل عظيم.. رجل لا يحب الظلم ويحترم المتقدمين في السن مثلي ويدافع عنهم.. ذات يوم بينماكنت واقفا

أمام الكونتوار أشرب قهوة بتمهل فوجئت بشاب جزائري طويل القامة وعريض الصدر ينتصب أمامي ويأمرني بلهجة عنيفة بان أدفع له ثمن قنينة بيرة.. كان المقهى ممتلئا في ذلك الوقت وكان عمك واقفا خلفي.. كان وحيدا وصامتا.. استدرت قليلا في اتاجهه وواصلت ترشف القهوة متظاهرا بأني لم أسمع شيئا.. مال على الشاب الجزائري وقد ارتسمت عليه ابتسامة ساخرة ثم لكزني بمرفقه.. حينئذ شاهدت عمك يندفع نحوه ويصفعه بقوة على قفاه.. نظر الي الشاب دون أن يقول شيئا.. شعر بالخوف.. تراجع قليلا ثم غادر المقهى مسرعا.. منذ ذلك الوقت أصبحنا صديقين.. كان يعاملني باحترام وتقدير ويثق بي (ص 68 ـ 69).

## على سبيل الخاتمة :

إن هذه الصورة التي رسمها الحبيب السالمي للوطن وأبنائه في بلاد الهجرة ترجمت في جانبيها المشرق والقاتم التمزق الذي يعيشه التونسيون في المهجر. فلا هم استطاعوا أن يندمجوا في الحضارة الاوروبية ولا هم عادوا الى الوطن واستغنوا عن الهجرة. انهم استقدموا معهم كل ما يذكرهم بالوطن فعاشوا عيشة تونسية في نمط حياتهم دون أن يندمجوا في الحضارة الاوروبية.

والذي يعمق مأساة هؤلاء المهاجرين هو ما يصيبهم من سلوك أفراد الجيل الثاني بصفة مباشرة أو غير مباشرة، فيحصدون نقمة الاوربيين، لأن هذا الجيل الثاني لم يتسلح بالقيم الحضارية الاصيلة العربية أو الأوربية التي من شانها أن تقيه من كل تصرف مشين. ولا نجد إشارة في الرواية الى محاولة تأطير او رعاية لانقاذ هذا الجيل من أية

جهة كانت، علما ان الرواية تتحدث عن فترة أواسط الثمانينات.

والخطر الذي ينجر عن العزلة التي يعيشها المهاجرون في غياب التأطير اللازم قد يتمثل في رد الفعل القوي من خلال تنامي الاحساس الديني الذي قد يتجاوز مجرد الايمان بمجموعة من القيم ليتخذ صبغة انتقامية كما جاء على لسان العجوز الجزائري: هذا البلد أحقر بلد في العالم.. الانجليز والالمان أفضل بكثير.. لو كنت فرنسيا لاصبحت جنرالا.. الجزائر تعتبرني فرنسيا وفرنسا تعتبرني جزائريا. الاسلام سيحيكهم بحول الله.. (ص 93).

ولا بد من الاشارة الى ان تنامي الشعور الديني لا نجد له ذكرا في الحديث عن الشخصيات التونسية، وقد يعود ذلك الى أسباب عديدة خاصة بهذه الجالية ولكن الرواية تفتح أعيننا على اكثر من حقيقة لعل من ابرزها ضرورة ربط الجسور مع ابناء الوطن في الخارج بانتظام، ومن شان الثقافة والتعليم أن يلعبا دورا اساسيا في هذا المجال وندوة كهذه تبحث في جسور التواصل مع الوطن تنصهر في هذا الاختيار الهادف خدمة للبلاد والعباد.

# زبد البحور أو الإبحار في الشعر

عن دار لارمتان، من سلسلة «الكلمة الحرة» صدر بباريس ديوان «زبد البحور» للشاعر التونسي محمد الرفراني. وهذه قراءة اولى له.

منذ أكثر من عشر سنوات، دعاني محمد الرفراني لتناول قهوة، واذكر ولعلّه لا يزال يذكر أيضا أننا التقينا وسط باريس بمقهى مقابل متحف التكنولوجيا قريب من شاتليه. وجدت انسانا لطيفا مرهف الحسّ، حدثني عن هموم الكتابة والشعر طويلا، وافترقنا... وتشاء الصدفة أن نلتقي مرة أخرى بعد ذلك اللقاء سنوات ولم يؤاتي الوقت لنتكلم عن الكتابة، ولم يكن عندي من أخباره سوى أنه يكتب ويسافر، ولم يقرأ لي شعره...

ويلمحني بعد مدة فيعاتبني ويقول : «لن ابحث عنك بعد الآن كما بحثت عنك من قبل دون طائل، هاك عناوني ورقم هاتفي وتصرّف». ثم يردف : «واعلم ان ديواني صدر أخيرا». استبشرت خيرا واقتنيت الديوان، هذا الشعر




محمد الغزالي

الذي تأخرت قراءتي له عشر سنوات.

ولعلّي لا أبالغ اذا قلت بأن هذا الشعر، ترك في نفسي من طيب الأثر وحسن الموقع ما فعله بعض شعر الكبار من الشعراء المرموقين، وقلت في نفسي : «كيف يتأخر اكتشافي لهذا الشعر التقي طول هذه المدة، ولماذا لو لم التق الشاعر ولم يحدثني عن ديوانه. ألهذا الحد يصبح البحث والظفر بالشعر الجيّد شاقا ومريرا ؟ !

على أنني شعرت بالإرتياح والفرح، ارتياح قارىء يجد من جيّد المعاني أجودها ومن روح الشعر ألطفه، وفرح الذي يحسن الظن بشاعر فيجد ما توسم فيه من قدرة على الخلق والإبتكار.

وكان إنشادي للقصائد طقسا أحاط بوجداني وأطرب نفسي وأيقظ فيها غزير الأحاسيس ونبل المشاعر، وهكذا يكون الشعر !

ان شعر «الرفرافي» فوق الوزن وفوق المرجعيات القديمة والحديثة، إنه شعر الحياة وشعر الشعر. يقول إنه «زبد البحور» وأنا اقول إنه ايضا «زبد الشعور».

يقول في قصيدة ارادها «كلمة

أولى» كتقديم للديوان، وما أراها الا قصيدة مكتملة الذات :

«زبد، لأنه طفا على سطح الجسد
هذا الجسد المنغلق تارة
والمنفتح أخرى
المتدحرج على مدى عقود أربعة وتزيد
كرة ثلج من عناصر أولى :
ماء وملح وفحم »

هذه الكلمات المكوّنة لعالم كبير بعناصره المتنوعة، زبد، جسد، ثلج، ماء، ملح وفحم هي اختزال لعملية الخلق في تدرجها واستدارتها وغناها. إنها كيمياء الإنبعاث تتفاعل بين طيّاتها العناصر في انطلاقها وانفتاحها وتدحرجها وسكونها.

وهذا من مكونات شعر الرفراني، الذي ينفتح أحيانا على الكون حتى يحضنه ويصبح شيئا منه ومن ميولاته، وينفلت أحيانا أخرى من إسار المحدد ويتلاشى ذرات من رماد تسبح في فضاء بلا ساحل.

وقد نتساءل ببراءة هذه المرة، لماذا يا ترى يلج الشعر عالم الشعر بقصيد لا إسم له ولا عنوان، مع أنه يريد تقديم «مشروع الشعر هذا الذي لم ينته... الذي لا ينتهي» (ص 13) من قصيد «لا اسم لهذا الشعر ولا عنوان».






يقول :

«بالشعر ،
أدخل البيت الكبير،
هذا الذي تسكنون،
حاسر الرأس
والذاكرة،
أزيح ستائر اليقين والسبات،
افتح نافذة
على جهة النهار
انتظارا للشوق الكبير
والإنبهار ».

بهذه الكلمات البسيطـــــة في تكوينهـا والسهلة في تـركيبهـا، يقـوّض الشاعـر مـا هو مألـوف ويفتح «البيت الكبير» عنوة.

هـذه الكلمات التـي تصـوغ في سيـاقهـا اللفظي/اللغـوي معـان بيعدة الغـور، وبشكل مفاجيء إلى رؤى شعرية جارفة وأخاذة :

« بالشعر
أعيد على مسامعكم جهرا
ما تقولونه سرّا »

صفاء كهذا الصفاء، هو الشعر بعينه فـلا نحتاج إلى بحـث لغوي ولا إلى تبحّر في علم العروض حتى نعبرّ عما يخالـج الضمير ويقـض الوجدان.

إن أدوات الشـاعـر ومعـرفتـه للوزن وثراء لغته وحسّه الشعري وتعمقـه في التراث كلهـا أدوات تصلح لـه، لكن الأهـم بعـد هـذه الضروريات — وربما قبلها — هو حسّ الشـاعـر ورهـافـة ذوقـه وقدرته على صيـاغة التعبير الذي يلبس المعنى، ولينتقل مـدى تمكّن حسـه وشعـوره ووجدانـه من القبض على اللحظـة بـاستعمال الأداة التي هي اللغة الشعرية.

هـا هـو الشاعـر يـواصل فتح الآفـاق أمامنـا حـاملا مشعـلا لا ينطفيء نوره ولا يخبو شعاعه :

« بالشعر
أرى في عيونكم
ما لا ترون عن قرب »

شعر يضيء لنا الطـريق بوداعة وصدق ومعاناة !!

ولغـة شفيفـة تـرق من فـرط صفـائهـا وبساطتهـا حتى تكـاد تتلاشى في خضم الكلام.

يواصل في نفس القصيد :

« بالشعر،
أصير زيتا لقناديل القرى
أو فاكهة للمواقد
في عزّ الصقيع » (ص 19)

هذه الإنسانيـة الفياضة تتألق بـروعـــة وبهاء، وتفضي بنـا إلى شاطيء الأمان، أليس هذا هو دور الشعر ؟ ! شعر يضيء دربنا، يفتح أعيننـا، يـواسي جـراحنـا ، وحين نأنس إليه يـدفعنا نحـو قمة وعي نـاضـج وثـورة على الجمـود وانصهار في حركة جارفة.

ويضيف الشـاعـر بـوداعـة

منكسرة، غريبة، صاعقة :

« بالشعر ،
ألمّ بشتاتكم تحت سقف وحدتي،
وأمنحكم رحيق ذاتي »

هذه القصيدة هي قانون للشعر، هي تعريف له وتحديد إن صحّ أنه يخضع لتحديد، إنها بيان شعري في قمة النضج، وانبجاس لحقول من المعاني بعظمة الكون.

« بالشعر ،
لا أبدأ ولا انتهي،
وكالوقت ،
أمتدّ في عروقكم ،
بالحياة طافحٌ
وبالموت » (ص 24)

إن الشعر هنا لا يخضع إطلاقا للمكان في حركته الدائبة المتحفزة وهو يرفض سكونية الأشياء. إنه انفعال عنيد وشرس : لا يألف اللحظة بل يبحث عن الآتي اللا محدود، إنه بشكل ما حياة أخرى لها امتدادها رغم ان الموت يترصدها كل لحظة.

يصبح الشعر هنا كليّ الحضور، بلسم الجراح، صفو النشوة والبهجة، قرين الشعور بالظفر والإمتلاء :

« بالشعر ،
تمتلك روحي الأشياء
في صوتي ،
قاموس الحضور والإمتلاء ،
فامتلك صوتي
وامتلك الأشياء »



إن عالم «الرفراف» الشعري غني متنوّع الجوانب، أفقي الرؤى أحيانا عمودي المعاني أحيانا أخرى.

فهذا المزج بين عبارة تطفو ولفظة تغوص بعيدا في لجّة الكلام/الشعر، هي الشرّ الذي منه يضع شاعر كيمياء شعره ثم يهبه لنا بتواضع مأساوي مريع مع أنه يدرك ان معانيه هذه التي أرادها «بريئة» ليست كذلك. إنها نوع من القنابل الموقوتة مغلّفة بإهاب من

الحرير الصيني الرفيع :

« انفجر بين القصيد شظايا
ولم يبق في داخلي منه
سوى انعكاسات مرايا »

هذه الأسطر الثلاثة هي قصيدة بعنوان «بيت القصيد» فإذا ما وجدنا بيت القصيد في هذا القصيد ــ وهو ثلاثة أسطر ــ فيصبح العثور على شظايا منه، نوع من المغامرة الخطيرة.. ثم إذا أردنا البحث عما بقي من هذه الشظايا في داخل الشاعر، فلن نظفر الا بانعكاسات مرايا. انها رحلة نحو المجهول، رحلة ليست مأمونة العواقب... لكن لماذا ينفجر بيت القصيد ؟! ولماذا لم يبق داخل الشاعر منه سوى انعكاسات المرايا...؟ وعن أي قصيد يتكلم الشاعر، عن القصيد الذي يكتبه في لحظته؟ ! أو عن قصيد آخر قرأه أو رآه أو سمعه؟ هذا ما لا نعرفه وقد يعرفه الشاعر نفسه أو لا يعرفه. لكن للقصيد عوالم لا يدركها إلا القليل.

إن حيرتنا أمام الغموض الواضح متأتية من اثنتي عشر كلمة، هي في أصلها جملة فعلية، تليها جملة مجزومة بلم يبتدىء خبرها بأداة استثناء «سوى». هذا القصيد الذي يتكلم عنه بدوره لأنه يصور الإنفجار، انفجار بيت القصيد الذي يتكلم عنه الشاعر. وهو مثال حيّ لقصيد متفجّر، يعبر بنفسه أي بكيانه عن كنه الإنفجار الذي هو صورة له. ويعبّر بيسر وبعض انكسار عما بقي له من الانفجار ألا وهي انعكاسات مرايا، فهو يطلب المزيد من الشظايا حتى يجمع شتات القصيد ثم يلبسه أو يتركه في داخله صنو روحه.



في رحلة عبر القصائد قد تعترض طريقنا لفظة خارجة من إسار القاموس، شريدة أو تائهة في

الأدغال، وقد يعنّ لنا ذئب او جمل أو سبع جائع، إنها غابة أو دغل تفيء اليه الوحوش كما الألفاظ الأليفة وقد يصبح فيه الدرب وعرًا أو بركة ماء ثرًا أو بئرا تنزلق قدمنا فيه فيبتلعنا ويلفظنا بعد حين.

في قصيد «تساؤلات من باطن الزمن حول شتات المدن وغرابة الوطن» (ص 125) نقرأ معا:

« هويتنا، ثوب أم جسد؟
نبوءة أم نشيد؟
قنديل لخيام العشيرة؟
أم نزق الزبد»؟

هذه التساؤلات المشروعة أو المشرعة، تزج بنا في فيض من الإحتمالات وبلمح البرق إلى الفجيعة إذ تضع أمامنا الأشياء بوضوح وتنتظر إجابة صارمة وسريعة إذ لا مجال للإنتظار.

يقول في نفس القصيد:

«لكن
لماذا لا يعقد الحجاز حلفا مع الغمام
ومصرُ مع لاربيع،
وتونس مع دمي؟»

هكذا يقتنص «محمد الرفراني» لحظات صفائه وتألقه بعبارات وضيئة مألوفة ولكنها حارة متوقدة، عبارات مشحونة بذوب الشعر، بالحياة بالأمل أو باليأس لكنها لحظات صادقة وفياضة بندى الإستعارات وبنبل الجناس ورقة الطباق، وكلها أوجه بلاغية يجيدها فيسلس له قيادها.



قد نظن احيانا أننا نقرأ أدونيس أو أولاد أحمد أو آدم فتحي، فإذا بنا ننتقل من غموض أدونيس وعمقه ومن شاعرية أولاد احمد ومن غنى شعر آدم إلى غنائية محمود درويش وطلاوة عبارته وموسيقاه. لقد وجدت في هذا الشعر بعضا من الميداني بن صالح وسوف عبيد في ذهاب الكلمات إلى مراميها وفي التزام الشعر بقضايا العصر والناس، وألفيت فيه غنائية محي الدين خريف وتصوّفه... وتقنية يوسف رزوقة وجفاء بعض عبارات جعفر

ماجد أو انسياب أسلوب صمود أو خيالات الشابي...

فقد ذكرني هذا الشعر بأساليب عديدة ووجوه شتى من ضروب القول، تنصهر فيها الأصوات لتصير صوتا واحدا هادرا زاخرا مزبدا ومزمجرا.

« لهذا أقول :
ما دام لا لون للكون في كياننا
غير لون الذاكرة
ما دام لا كون للون في كياننا
غير حجم الذاكرة
سنبقى رماد لحظتنا العابرة)

(من قصيد «كياننا وألوان الكون») (ص 100).

في زبد البحور، ترغى الكلمات وتزبد، فيه الشعر وفيه الغضارة والنضارة وبعض الجفاء، إنه ديوان يضجّ حياة وصدقا وقد نعود اليه لندرس بعضا من قصائده فهو جدير بالعناية. ويكفي أن نقرأ من قصيد «الأزرق» (ص 51) هذه الجملة الطليّة :

« البحر، بين اللحظة واللحظة
البحر، بنفسه
البحر، في كل لحظة
يمتلىء بالبحر»

وفي نهاية القصيد :

« أنا والبحر والمطلق
مجرد لحظة، لا تسعها لفظة»

محمد الغزالي

باريس






## اصدارات

# إشكاليـــة

# الكتابة الروائية

## عنـــد

# عبد الوهاب المؤدّب



أود أن أفتتح مداخلتي بمدكم ببعض البيانات الاحصائية المتعلقة بالانتاج الروائي التونسي الناطق بالفرنسية : من سنة 1945 إلى سنة 1989 صدر على المستوى المغاربي 361 رواية كان الرصيد التونسي في هذه المدة يقتصر على 58 مؤلفا روائيا (خلال 44 سنة أي بمعدل رواية في السنة الواحدة) .

إلا أن الانتاج الروائي التونسي تطـوّر بين سنـة 1970 وسنـة 1980 بفضل بروز مـؤلفين جدد وتنوّع المواضيع المطروقة وتجدد

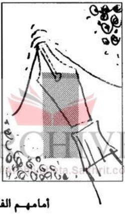
للاستاذ جميل شاكر
دكتور دولة في الآداب الفرنسية
استاذ محاضر في كلية العلوم الانسانية
والاجتماعية بتونس



الخيال التونسي والكتابة الروائية التي أصبحت تهتم بالوظيفة الانشائية ولم تعد تقتصر على الوظيفة المرجعية. ونشهد اليوم تطورا ملحوظا في الكتابة الروائية إذ صدر بين 1990 و1996 ما لا يقل عن 25 رواية (في ست سنوات فحسب).

ومن البديهي أن هذه الحصيلة العددية الهامة يجب ألا تخفي علينا حقيقة هذه الكتابات، فهي كتابات متفاوتة القيمة، فيها الغث والسمين. والكثير من هذه النصوص لا يخضع إلى المعايير الجمالية المألوفة ولا تكمن طرافتها إلا في قيمتها الوثائقية. ولكن كيف يمكن تفسير هذه الظاهرة الكمّيّة ؟

هنا يجدر بنا أن نبرز علاقة الأديب التونسي باللغة وبالثقافة الفرنسية. ليست اللغة الفرنسية في تونس نتيجة للاستيلاء الاستعماري، فنحن نعلم أن المصلح التونسي خير الدين أسّس المعهد الصادقي في 1875 أي ست سنوات قبل انتصاب الحماية لتعليم اللغات الحيّة آنذاك وهي الفرنسية والايطالية والتركية.



ولكن اعتبرت اللغة الفرنسية بالنسبة إلى جيل التونسيين في النصف الأول من القرن العشرين أداة استعمارية واقترنت بجملة من التعقيدات والمركبات، فاصبحت للفرنسية وظيفة مزدوجة : فهي في الآن نفسه وسيلة تعبيرية ولغة المستعمر الغاصب، لغة السيّد.

وأما اليوم فقد أصبحت الفرنسية أداة تفتح على العالم المتطور ووسيلة تلاقح الثقافات وتواصلها، رغم أن هذا التواصل لا ينفي الأزمة التي تتجلّ في الهويّة الثقافية والاشكالية اللسانية.

ولكن من الدوافع الهامة التي أدت بالكثير من المؤلفين التونسيين إلى الكتابة بالفرنسية الآفاق الواسعة التي تفتحها أمامهم الفرنسية في صلب العالم الفرنكفوني حيث تخصص بعض دور النشر الفرنسية سلاسل للأدب الناطق بالفرنسية عملت على ترويجها في العالم بمساعدة المكاتب الثقافية الفرنسية، مما خلق حركية عامة في مستوى الكتابة والتلقي كان لها انعكاس

ايجابي على البحث العلمي إذ تكونت فرق بحث في بعض الجامعات تهتم بهذا الصنف من الأدب.

العامل الأهم في نظري هو أن الفرنسية بما هي لغة أجنبية فاقدة لكل معاني التقديس فهي تعتبر لغة قابلة للتعبير عن أغراض بقيت محظورة في الثقافة العربية الاسلامية. وفي هذا الإطار استعملت الفرنسية كلغة انفراج وانعتاق. وقد أكد صالح القرمادي أن اللغة الفرنسية مكنته من التحرر من وطئة التقاليد.

أعتقد شخصيا أن كل هذه العوامل أهّلت عبد الوهاب المؤدب للكتابة الروائية الناطقة بالفرنسية.

يقول المؤدب إن اللغة الفرنسية لغة أجنبية كان والداه يجهلانها، مما مكّنه من تجذير القطيعة بالهجرة، وهي بالنسبة إليه هجرة لسانية وثقافية قبل أن تكون جغرافية.

ولد عبد الوهاب المؤدب بتونس سنة 1946 وبعد دراسة للأدب وتاريخ الفنون، درّس بمعهد الفنون الجميلة بباريس وساهم في حركة النشر الباريسية المهتمّة بالأدب المغاربي الناطق بالفرنسية وهو الآن في سلك التعليم العالي بإحدى الجامعات الفرنسية.

تتميّز كتاباته الروائية بعلامات مخصوصة : فأسلوبه السردي وأغراضه الأدبية وممارسته للكتابة الروائية تختلف عن الأنماط السائدة في الأدب المغاربي.

أصدر سنة 1979 في باريس أول رواية له : عنوانها Talismano أكد فيها أصالة كتابته المنفصلة عن السائد الروائي المغاربي، أي كتابة الصراعات المعهودة التي هزّت المفكرين والأدباء في اثبات هويتهم إزاء الغرب. فالخطاب

الروائي عند عبد الوهاب المؤدب ينشأ على وتيرة تائهة، هائمة، يرفض التصنيفات المغاربية المتداولة ويفضل المسيرة المنعزلة، المنفردة، وهو بالتالي يكسب التجربة الوجدانية قيمة مضافة.

هذه الرواية أرهقت القارىء الفرنسي والمغاربي. وقد اكتفى الكثير بالإشارة إلى بنيتها المعقدة وإلى تمازج العناصر الثقافية في صلبها.





يمكن اعتبار الخطاب الروائي في Talismano خطابا هجينا تختلط وتتشابك فيه أصناف نصيّة عديدة : السيرة الذاتية من حيث أن المؤلف يسرد قطعا من ماضيه والقصة الواقعية الخيالية من خلال موكب الصنم، والتأملات من خلال الوظيفة النقدية التي يضطلع بها السارد.

ولكنّ هذه الأصناف الخطابية لا تبقى مستقلة بعضها عن البعض الآخر وإنما تنصهر في نص موحد لها، له شبه طاقة الخيميائية (alchimique).

يظهر في هذا المزج الخطابي نشاز كبير على مستوى المضامين والمواضيع : فكتابة المؤدب تستند إلى أساسين إثنين : التغاير والتّيهان (errance).

وهنا نستجلي ما يطلبه عبد الوهاب المؤدب من القارىء : إن القراءة السريعة الارتسامية لا تؤدي هنا إلا إلى الشعور بالإحباط لأن هذا النصّ صعب الادراك لغير المختصين، لا تنفتح أسراره إلا لمن تعلقت همته بالدراسة الدقيقة وبالبحث المعمق. فمُتعة القراءة ليست في قراءة ظاهر النص وإنما في تفكيك الخطاب الروائي واستنباط مضامينه الخفية.

عَمَل عبد الوهاب المؤدب على تطبيق هذه المبادىء العامة في ممارسته الروائية واللغوية. فاستعمل جملة من الأساليب التي تنتهك نواميس اللغة وقواعد التماسك الدلالي السطحي.

من الأساليب اللغوية الشائعة في رواية المؤدب «التركيب الملاصق» (construction paratax-ique) وطمس علامات الحوار وعدم استعمال أدوات التعريف للأسماء وأما علامات الوقف في الجمل فهو يستعملها بصفة تكاد تكون نادرة في الأدب إذ هي مقترنة اقترانا عضويا بالمعنى المُوَلَّد.

يُخضع المؤلف قواعد اللغة إلى كتابته الروائية المتقطعة.

وأما من ناحية المفردات، فإسهام المؤدب هام. لغته متغايرة المستويات وهي تستعير مفردات من لغات أخرى (الايطالية والعربية بالخصوص) وتستعمل ألفاظا جديدة يخترعها هو مثل (s'encolerer / se déconserner).

فهو إذ يعتدي على صفاء اللغة الفرنسية ووحدتها، يريد في الواقع خلق الانسجام التام بين البنية الروائية من ناحية والممارسة اللغوية والتركيب الدلالي من ناحية ثانية.

وفي نفس الإطار، ينتهك المؤدب نواميس البنية الخطابية، مثل الفقرة التي يعسر تحديدها بدقة عند عبد الوهاب المؤدب.

فخطابه ليس مبنيا على التمييز بين وحدات دلالية مستقلة وحسب استراتيجية إجمالية. أما بداية الفقرة فيمكن أن تبرز في مكان ما. كما يمكن أن تقسّم الجملة الواحدة إلى جزئين إثنين. ولكن الظاهرة السائدة عند المؤدب هي انعدام التمييز وزمنية مختلفة. فالفقرة لا تختص بموضوع معيّن.

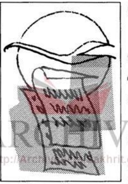
يرفض هذا الأسلوب الروائي التمييز بين مستويات النص وعناصره ويرفض ترتيبها حسب نمط تدريجي.

فهي نظرة غير تركيبية للنص،

تدمج جميع العناصر الخطابية في مستوى واحد لتكسب كل عنصر نصي حظا أوفر للتعبير. فكثافة المعنى ليست في احترام النواميس اللغوية وإنما في قدرة الكاتب على اضفاء الحيوية الدلالية على كل عنصر انطلاقا من السياق الفردي.

الحكاية المسرودة في Talismano يمكن تلخيص فحواها في شبه حركة تمرد انطلقت من مدينة تونس العتيقة اثر خطاب رجل عجوز يمكن مقارنته بوسيط الوحي لدى الاغريق وهو خطاب فيه الكثير من الوعظ الغامض.

غير أن هذا الخطاب كان له الوقع الكبير لدى عامة الناس فامتدت الثورة في أرجاء المدينة العتيقة سالبة ومدمرة كل شيء بينما تتوجه مجموعة من المتمردين تحت قيادة ساحرة مشعوذة نحو المقبرة مستخرجة من الجثث حديثة الدفن بعض الاعضاء لتكوين جسم عُرض في المدينة كصنم مقدّس.



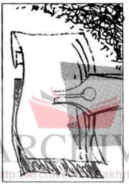
الجسم الذي وقع تصميمه بهذه الطريقة هو جسم غريب مكوّن من أعضاء متغايرة.

وهذا المثال الغريب لم يَرَ فيه نقاد المؤدب الصورة السائدة للأدب الغربي "grotesque" وهو في التقليد الغربي يقوم على غرابة الاشكال وتنافرها وتفاوتها وبشاعتها وهي من الصور الأساسية للأدب الشعبي الغربي. نجدها عند Rabelais ونجدها في الأدب الباروكي (art barsque) .

لذلك نرى ضعف التأويل الذي اقترحه أحد نقاد المؤدب (عبد الله مامس)الذي يرى أن هذا الجسم

الغريب مرآة للبنية الاجتماعية التونسية التي هي ملْايج من العناصر المختلفة.

وفي حقيقة الأمر، اختلاط كافة العناصر الاجتماعية والعرقية والثقافية في الموكب الذي يتبع المثال الغريب حيث يمتزج اليهود بالأندلسيين والسود والمغاربة والهامشيين والعاطلين عن العمل والجمعيات الدينية والمشعوذين والمُوشّمين وأصحاب الحرف إلى غير ذلك،



هذا الاختلاط يطمس الحدود والنواميس التي وضعتها الثقافة والقيم وعملت السياسة على احترامها وتجذيرها.

وكلما تقدم الركب برزت لدى المتمردين معتقدات وممارسات قديمة تكاد تكون في بعض الأحيان وثنية جاهلية.

ومما يزيد في تنافر العناصر الروائية الاستطراد الذي يتوخاه عبد الوهاب المؤدب بصفة دائمة. فهو يتحدث بإسهاب عن الجنس والبكارة المفتعلة والحالة الاجتماعية والاقتصادية بتونس قبل الاستقلال وبعده وخصوصا في السبعينات منتقدا الفكر السياسي القائم آنذاك على النموذج الموحّد والوصولية والسياحة المفسدة للبلاد.

كما يتحدث عن بعض الأساطير المصرية وعن العصافير (عصافير بحيرة تونس ثم عصافير فينيس وباريس وروما وطنجة والقاهرة ومراكش، ثم عصافير أسطورية).

فيمكن اعتبار الجسم المتحرك كالصورة الآتسية المولدة للسرد الروائي ولكا الاستطرادات التي تقطع المسار القصصي وتدمج فيه

منعرجات دلالية لا يمكن فهمها إلا بقراءة معمقة للنص.

وبالتالي يمكن القول إن اسهام المؤدب في الكتابة الروائية التونسية الناطقة بالفرنسية اسهام هام لم يبرزه النقاد.

نحن نعلم أن الكثير من الروايات المغاربية والتونسية لها قيمة واحدة هي القيمة المرجعية : السيرة الذاتية أو النقد الاجتماعي والسياسي والثقافي. بينما استطاع المؤدب أن يولّد المعنى من البنية القصصية وعمل على اخضاع اللغة الفرنسية إلى مقتضيات الكتابة الروائية.

إلا أن أهم اسهام قدمه المؤدب للرواية التونسية يتمثل في مزجه بين الثقافة الشعبية والثقافة العلمية المعرفية وذلك برد الاعتبار للأشكال الغريبة المنافرة وللجسم الذي أصبح استعارة مولّدة للنص القصصي.

كما أن رواية المؤدب تعطي دورا هاما للذاكرة الذاتية والجماعية، وهي ذاكرة تحافظ على المعتقدات القديمة قد يظن المجتمع أو الفرد أنه تجاوزها بينما تبقى راسخة في الذاكرة وتطفو على سطح الشعور والوعي كلما ضعفت وسائل الكبت والمنع.

فالتونسي مزدوج الخيال له قيم عربية اسلامية وتصرفات لا يمكن فهمها من منطلق المنطق الاسلامي وهي رواسب حضارية قديمة تنقل من جيل إلى آخر.

وفي خاتمة هذه المداخلة أتمنى أن يحظى الأدب التونسي الناطق باللغات الاجنبية وخصوصا بالفرنسية بالرعاية والاهتمام من ل دن المؤسسات التونسية الجامعية والثقافية حتى نتفهّم ما يدور في عقول المهاجرين وغير المهاجرين الذين اختاروا اللغات الأجنبية تعبيرا أدبيا وحتى نستجلي الاسباب التي جعلت الغرب يحتفي بهذا الصنف من الأدب رغم رداءته في بعض الأحيان وحتى نستنبط مظاهر

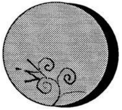
التعددية الثقافية واللسانية وأبعادها ورهاناتها.

إن الكتابات الناطقة بالفرنسية كثيرا ما يكون نقدها الاجتماعي والحضاري والسياسي لاذعا . طبعا هذه الكتابات تتعلق بالنظام السياسي القديم وبالأزمات الخطيرة التي عاشتها تونس في السبعينات.

لا بد اليوم من خلق تصالح بين هؤلاء الأدباء ومحيطهم الحضاري. عذا التصالح لا يكون ممكنا إلا إذا تصالحنا مع أنفسنا وتسامحنا مع الآخرين وقبلنا حق الاختلاف على أن يستوعب هذا الاختلاف في صلب الذات. من مزايا هذا التصالح أن يحقق تواصلا جدليا بين الأدب العربي التونسي والآداب الناطقة باللغات الأجنبية.

ومن جهة ثانية فإن مزية هذا التصالح تكمن في تشبّع التونسيين المهاجرين أكثر فأكثر بالحضارة التونسية وبكنهها فتكون معرفتهم أكثر دقة وتكون حتما نظرتهم النقدية أكثر اتزانا وواقعية مما لا ينفي طبعا حرية الرأي والخيال.





# الغربة



# في

# «مسابح الوصل»

# للطاهر البكري


بيار ريناس(1)

ترجمة : ابو بكر العيادي




تعتبر الغربة ثيمة مركزية في شعر طاهر البكري والشعر المغاربي عموما، كما هو الشأن في آداب أمريكا اللاتينية. وسأحاول أن اربط هذا الملمح الحاضر على الدوام بالآداب التي تعارفنا على نعتها - بشيء من الادعاء المعرفي والجامعي - بآداب المحيط. وهو لفظ تقني يشير الى تلك الآداب التي تولدت عن اللغات الاوروبية وتطورت في المستعمرات القديمة. كذلك تتنزل آداب امريكا اللاتينية والآداب الفرنكفونية، فهي آداب ورثت لغة المستعمر القديم واتخذتها لحسابها لتتموقع بعدئذ انطلاقا من هذا التحرك المزدوج لكاتب المحيط - وهو تعبير مرفوض اعترض عليه - تلك المنزلة

المأساوية أو لنقل المزقة لذاك الذي يكتب وهو يتساءل : من أي منطلق.

هذه الغربة يمكن تلمسها جغرافيا أولا، وتاليا في مصير الكتاب وترحالهم، فهم يكتبون، هناك، في مكان آخر، سواء أكانوا من أمريكا اللاتينية أو مغاربة أو أفارقة. انها مأساة هؤلاء الكتاب. هل هي مأساة ؟ هل في ذلك قدر محتوم لا يمثل في بعض وجوهه أيضا نوعا من المخرج؟ في اعتقادي، ان هذه النقطة في صميم موضوعنا. لذلك كان «المنفى مهمة صعبة» على حد تعبير ناظم حكمت. فالمفارقة التي اريد تبيانها هنا، انطلاقا من تجربة طاهر البكري، والتي تتجلى بقوة يوما بعد يوم هي : ألا يكون ثمة استعمال جميل للغربة، تمثلا لجملة شهيرة؟ ألا يمكن أن نتساءل — علاوة على الوظيفة التاريخية التي طبعت مجموعة طاهر البكري الاولى الموسومة بالحنين والفراق — ان كان ثمة كيفية لاحتواء الغربة، وبأي وجه يمكن أن تساهم في التأسيس.

نعتبر الغربة ثيمة مؤسسة في الادب التونسي الذي بالغنا في تجاهله، وأجدني اليوم(2) سعيدا بالتعبير عما ينبغي علينا فعله نحوه حتى لانغمطه حقه. لعل مرد ذلك انه أدب شعري بالاساس، وأن الشعر أقل ترحالا واكثر إسرارا. والغربة هي ايضا ثيمة مؤسسة في الادب الروائي، وتحضرني في هذا المقام رواية لفوزي الملاح، فالشخصيات البارزة التي أرست الهوية التونسية هي الشخصيات الرحالة

منذ عليسة والرحلات البحرية الفينيقية. هناك أمر أريد تفصيل القول فيه : ما مدى علاقة هذه لغربة/المنفى ـ وهو أمر جوهري، مقيّد، مؤثر، في قدر الكاتب الامريكي اللاتيني ــ بجنسية (الكاتب) الاصلية. فمأساة الادب الامريكي اللاتيني، التي تماثل في وجه من الوجوه مأساة الكاتب المغاربي والكاتب الفرنكفوني، هي تحديدا تلك التهمة الدائمة ـ التي أنوي إثارتها هنا ــ ونعني بها مسألة علاقة الكاتب المغترب بلغته الام وعلاقته بوطنه.

بماذا وكيف يمكن أن يقدم شهادة لفائدته ؟

هذه العلاقة التي قد أكون طرحتها على نحو نظري مشط نوعا ما لعرض كتاب شعري منعم بالاثارة مسكون بالحنين، هي التي أريد الخوض فيها لأبيّن كيف أن الغربة عطفة تتيح الانفلات من الفورية الظاهرة والمخاتلة للهوية، وكيف أنها تشكل بالعكس منطلقا للتأسيس.

النقد الذي يوجه عادة الى كتاب المنفى، وهو أمر يستوي أمامه الكتاب الامريكيون اللاتينيون ونظراؤهم المغاربة، يتدرج ضمن هذا الاطار المزدوج : كتاب الداخل يدينون كتاب المنفى باعتبارهم غرباء عن المنظومة الوطنية، وكتاب الـ «هناك» أو اللامكان الذين هم حراس وجه الوطن اليقظون، الوطن المرسوم عن بعد، لمنحه شكل المسعى ـ وهذا يتجلى في شعر طاهر البكري ــ وهو تحرك لتأسيس هذه الهوية التي غالبا ما يغيرّ وجهها التعليق والتشريب والشروح والحواشي أو مواريث الفلسفة الكلامية الجديدة Néo-Scolastique أو الانثناءات التي أضفاها عليها التاريخ ومتغيراته هنا وهناك.

عند دراسة أعمال طاهر البكري نتبين ان كتابيه الاخيرين «مسابح

الوصل» الذي بين يدينا و«القلب المتموس بالمحيطات» هما الفكرتان اللتان تنطلقان من خيوط مؤسسة لتلك الآداب المنفية أو المغتربة داخل أوطانها، وتشكلان وفقا لذلك اعادة لقراءة صيرورة ثقافتها ومأساة الكتابة. والسؤال الذي يطرحه الكاتب هو: لماذا ينبغي ان نكون كتابا تضاف الى هذا المنفى؟ كيف السبيل الى التوفيق بين الوفاء لتجذرنا ومواجهة الحداثة؟.

أتوقف عند النقطة الاخيرة.

كيف يمكن، انطلاقا من التراث الشعري العربي القديم ـ وطاهر البكري يمتاز بكونه يحذق اللغة العربية ويقول الشعر بواسطتها ـ أن نضع في الحسبان هذا التراث ونسائل في الوقت ذاته هذه الثقافة بقلق، لا بدافع البحث فيها عن مجمع قيم وانما حفاظا على الماضي بغية تحقيق ما نتوق اليه. من هذا المنطلق أود استعادة الكيفية التي بها تماهى الشاعر مع أعلام الشعر، ومع ابن حزم في واقع الحال. فاثر البكري يكتب بالصورة أو بالتوازي مع آثار ابن حزم. ومن قبل تساءل البكري في «نشيد الملك الضليل» عن قدر الاعلام الذين تعارفنا على نعتهم بالمنشقين أو المهرطقين، والذين هم في واقع الامر استفهام حول تجذر هذه الآداب. يستعير الشاعر نهج التراجع (3) ـ الذي نجده في مجمل هذه الآداب ـ عند إيمي سيزير على سبيل المثال، وهو شاعر غالبا ما حاوره البكري خصوصا من خلال «دفتر عودة إلى مسقط الرأس» ـ ثيمة العودة التي نجدها أيضا في أدب امريكا اللاتينية تمثل كذلك استقراء لماض رائع من أجل إيجاد أجوبة لحاضر غامض متقلب دون أن يكون ذلك في شكل مباشر لان الكتاب ليس منهاجا مبرمجا.

في عمل يبدو كأنه في غير زمنه، هناك تساؤل واخز مضايق حول قدر الكاتب المسلم أو العربي اليوم.

كيف يمكن، كما يقول جان سيناك، إقامة تحصينات من أجل أن نعيش ونحمل هذا المستقبل الملتبس ؟

ان استعادة هـذا الاصل بقراءة نقـدية هـو في الحقيقة عمل نـوعي عيني. في هـذه الآداب نجـد ثيمـة مـركزيـة نسميهـا تقنيا الـوظيف الاخـلاقيـة. بعبـارة أخـرى، كل تسـاؤل عن الحاضر، انطلاقـا من المنفى سيصب في اسس هذا الادب.

ثمة شخصية تبدو لي أسـاسية في شعـر البكـري، هي شخصيـة أوسيان (4) الشاعر الغنائي، التي تعتبر خـداعـا، ولكنه خداع كـان ميلاده سببا في ظهور الرومنسية، في تلك الفترة الغـامضـة التي يسميهـا علم الانسـاب الادبي مـا قبل الـرومنسية والتي تـرافق كل تمظهراتها في المانيا، إعادة اكتشاف ملحمـة رولان والـرومنسيرو الاسبـانية(5)...هـذه الشخصيـة تتخـذ شكل بحث عن الاسـاطير المؤسسة للهوية، من الجانب الآخر للتثاقف الكلاسيكي، شيء على قدر من السـذاجـة الاصليـة، ان جـاز التعبير، هو بداية كتابة تكون اعادة استكشـاف للـذات. بهذا المعنى، تبدو لي آثـار طاهـر البكري بـالغة الاهمية، حيث يتبدى رفض التعمية الشعريـة والبلاغـة سواء أكـانت شعبوية أم سياسية، فهو يميل الى القصيد الموجـز، ويندرج بـذلك في سنّـة معينـة للحداثـة. استعـادة الاصل، منبع المكاشفات التي تنشأ من البحث عن الجوهـر، اعـادة استكشـاف عالم استعـاري كقفـا للواقع.

أصل الآن الى الإبانة التي تنبني عليهـا هـذه المجموعـة الشعـريـة المحيرة في الظاهر.

تندرج المجموعـة حسبما يبدو ضمن تقليد شعـري يقـوم على تقـاطع، وهـو شعر حـديث جـداً، ولكن اهم مـا ينبغي تحليلـه بنيـة العمل. النص عنـوانـه «مسـابح الـوصـل». انطـلاقـا من هـذين

المفهومين «مسابح» و «وصل» أود إبراز دلالات هذا الاثر، التي لا تتبدّى بوضوح لاول وهلة. ان استعارة المسبحة تندرج ضمن سنّة دينية حيث لكل حبة استقلالها ولكن المجموع يشكل في الحقيقة وحدة، لذلك فاننا ازاء جملة من القصائد المجزأة، المستقل بعضها عن بعض في الظاهر، ولكنها تؤلف كلاً واحدا، حلقة متكاملة، قصيدا واحدا. ولا شك أننا نقف بذلك على إرث الحداثة، شعرية المقطع وكذلك الإحراج(6) الذي هو إحراج الحداثة وفي وجه من الوجوه احراج الثقافة العربية اليوم.

كيف يمكن الجمع بين استقلالية كل حبة من حبات المسبحة، وبين الوحدة التي هي حنين كل ثقافة تبحث عن الطائفة وعن الامة بوجه خاص؟

كيف يمكن بناء ذاتية متفردة داخل مجموعة ليست متنافرة تعيش كطاقة، كامة، كوحدة؟

طاهر البكري شديد الحرص على بناء دقيق، بعيدا عن التعداد الفوضوي الذي نلمسه في بعض مظاهر الحداثة. فالقصائد عبارة عن سباعيات، تتجلى من خلالها ارادة البناء المنظم بطريقة طقوسية، وفي كل قصيد بيت أخير ينفصل في شكل وعظي حكمي، مقولة تكون صدى لحكمة أو نداء لمعرفة سرية غامضة، شيء مثل الشعار أو الرمز النهائي المفضي الى ومضة.

هذه السباعيات، متحدة، تشكل في مجوعها أثنين وخمسين قصيدا. وبما أن السباعية تساوي عدد أيام الاسبوع فان مجلة القصائد توافق عدد أسابيع السنة، التي تشكل بدورها حلقة منفى ابن حزم. حلقة متصلة بأوصال. هنا اشكالية الوحدة والتنوع، الفردية والرابط. للمسابح أوصالها. فنحن في عالم

يقترح إنشاء واعادة انشاء الوحدة في حــداثــة مجزاة حيث يبقى الانفراد والعزلة.

هنا تتبدى وظيفة هـذا الشعر الخالي من اي خطـاب. لا اثـر هنـا لاي نص يتماهـى مع مـا هـــو منهـاجي مبرمج، بل إن ثمــة في رأيي وظيفة مدنية. لان هذا الشعر الـذي يبـدو في الظاهـر غير مقيـد بزمن هو رهين مجاليته القائمة في الآن نفســـه على رفض الخطــاب الوحدوي والاجماعية(7) نصيرة الايـديـولوجي، وقـراءة متعـددة لهويـة الاوصال، في بنـاء جماعي للهوية، والثقافـة ضد كل أحادية، وكل ما هو مقلل مخفض منقص.

ان شعــر الصلـــة يبحث عن سبيلـــه وسط التيـــه والتلمس والترحال، وهي ثيمـة أساسية في شعر البكري وفي الشعـر التونسي والمغاربي في وجه من الوجوه. هنا تجد معـالم جغـرافيـة : بلنشيـة، كـوبنهـاق... تحدد ترحـال هـذه الكتابة، وانفتاحها الكوني، ولو أن مفهوم الكونية لا يـزال بحاجة الى تـدقيق. في هـذه السُبحـة وظيفـة الرابطة، رابطـة الاوصال المنفردة والمتـآزرة في الآن نفسه، متصلـة ومستقلـة في الوقت ذاتـه. ليست كعـلاقـة الأنــون(8) في الهويـة الغربية المنغلقـة على نفسها، وانما هي يقظة حـريصة قلقة، في حـالة استنفــار دائم مــا بين التجـذر والانحباس في مـواجهة الكليـاني (التـوتـاليتـاري) ينبغي تجريب العـلاقة الاخـويـة للانفتـاح على الآخـر، دون ان تنبهـر الهويــة بالخطاب الـوحداني المشارك(9) أو المركّــب(10) أو تمحي إزاءه. ان تجربة الغربة/المنفى لدى ابن حزم هـي نفسها تجربـة الحقيقة في مسلك الترحـال خـلال المحنـة التي توحي لنـا بها محنة الغريب. هـذه ثيمة يهتم بها البكـري وهي حـاضرة في الادب المغـاربي. انها شعرية لارابطة، ضيافة الفكر على

حد تعبير عبد الكبير الخطيبي.

هـذه المجموعـة الشعريـة هي تساؤل تأمل قلق حول ما يمكن أن يكون عليـه وضـع الكاتـب في بلاد الاسلام اليوم. والشاعر، الحاضر بيننا، يمكن أن يحدثنـا بنفسه عما عـانـاه ابن حـزم من متـزمتي عصره(11). استنـادا الى اي شيء تكون البدعة سبيل الطرق المتفرعة كما يقول بدرخـس الى حقيقة دالة على الجمع؟ في اعتقـادي اننـا هنـا ازاء احـد معاني الغـربة واحـدى وظائفها.

إن إجابة كتّـاب المحيط الذين اضطرتهم مشيئة التاريخ ومأساة الشعـر أن يعيشـوا بعيـدا عن أوطـانهم، للرد عـن المأخذ الـدائم الـذي يـوجهه بعض الـراشـدين اليهم باعتبارهم تغربوا عن الوطن الأم هي أن الغربة إن كانت تجربة واختبارا ومحنـة فهي ذلك انفتاح على الآخر وان الانفتـاح له عـلاقة بالشعر.

الغربة تتيح لنا أن نرى الاشياء بعين بكر، أن نرى حقيقـة أخرى، وهـو في رأيي أحسن مـا يمكن أن نعـرف به الشعـر. هـذه الرؤيـة الجديـدة والبريئـة والحديثـة للاشياء، هذه الارادة في اعادة منح الاشياء المثقلة بالفلسفـة الكلامية معنى مستقبليا وربطها بالآتي.

ذلك جـوهر الاصـالة الـذي لا يتماهى مع التقليديـة اللإمتثـالية السلفية. فـالاصالـة تساعـد على ربط الحاضر بالمستقبل. والبكري يستشهد في هذا المضمار باكتابيو باث وهو ما يقيم هذه الاخوة، هذا المحـور الـذي أحـب تسميتـه بـ «جنوب ـ جنوب»، حتميـة القدر التي تـوحـد بين كتـاب امـريكـا الـلاتينيـة وبين الكتاب المغـاربـة والافـارقـة، لان العـلامـات التي تنفينـا هي أيضا العـلامـات التي تشكلنـا، يقـول بـاث : لا وجـود لعـلامـة قـارة بل ثمـة تعـاقب علامات، تنوع تجده عند الحاج أو

علامات، تنوع تجده عند الحاج أو الرحالة، فشاعر المحيط يبحث عن أصلـه. هـذا التراجع (بـالمعنى الفلسفي للكلمـة)، هـذا السعي الى الحداثـة بالانحدار الى الاصـول، الذي يتحدث عنه اوكتابيو باث هو عمل الشاعر، وهو ليس عمل عالم الأثـريـات الـذي يحلل المدلـولات وانما هـو عمل الالخيميائي الـذي يحل لغز الشعلة المتقـدة. وهذا ما يبـدو لي بـالغ الجدة والطـرافـة، ويلحـا في الوقـت نفسه، في شعـر طاهر البكري.

## الهوامش:

(1) بيـار ريفـاس Pierre Rivas استاذ بجامعة باريس العاشرة. ننتار.

(2) قـدمت هـذه المداخلـة يـوم 27/5/1993 بمعهـد العـالم العـربي ببـاريس بحضـور الشـاعـر والنـاشر وعازف القيثـارة جان إيـف سنشيز في نطاق حلقات دراسية نظمها المعهد حول «الغربة أو المنفى».

(3) INVOLUTION : انتقـال من اللاامتجانس الى المتجـانس ومن المتعدد الى الواحد أو ارتـداد المتنوعات الى ضرب من التجانس العالي او تراجعها الى وحدة عليا.

(4) OSSIAN : شاعر غنائي اسكتلندي عاش في القرن الثالث الميلادي.

(5) ROMANCERO : مجموعـة قصائد ملحمية إسبانية.

(6) APORIE : وضع رأيين متعارضين لكل منهما حجته في الجواب عـن مسألة بعينها.

(7)UNANIMISTE : مـدرسة أدبيـة في القرن العشريـن تدعـو الى وجوب تعبير الفنـان عن الحيـاة الجماعيـة، من اهم رؤوسها جـول رومان بفـرنسا ودوس باسوس بالولايات المتحدة.

(8) استعمـل البـاحـث لفظـة ANNONADE وهـي مـن ANNONE اللاتينيـة وتعني محصول حول تقـدمه المستعمرات الرومانية للسلطة المركزية، وهنا اشـارة الى تلك العـلاقة الأحـادية بـاتجاه وحيـد بين المطـامير وروما، المتجددة كل عام في حلقة مغلقة.

(9) UNIVOQUE : محافظ على المعنـى نفسه في مختلف أشكاله.

(10) TOTALISANT : الشـامل الـذي تقوم حقيقته على مراقبة مسبقة لكل من عناصره.

(11) استعمـل البـاحث هـنا عبـارة DOXA MILITANTE و DOXA في تعريـف هوسول هـي جملة من المعتقدات والافكار غير الموضوعية.

HAMADI BELHADJ

POESIE

**اصدارات**

**ROSES ET ROSAGES**

Poèmes et contes pour tous les âges

- Vers et prose -

Première édition

HAMADI BELHADJ



**اصدارات**

LES CONFESSIONS

D'UN

SIFFLEUR

Première édition

## ندوة

# الادب التونسي في المهجر

**النقاشات والهوامش:**

**قال الاستاذ المنجي الشملي: عند انتهاء الندوة:**

« انني في الحقيقة معتز بحضور كل وقائع هـذه الندوة وشرّفت بأن كنت المشرف عنها. ولا شك أن ما استعمت اليه من ابحاث أي ستة ابحاث هي في رأيي جيدة ولكن ما أروع أن يختلف الرأي في الأثـر الادبي، لأن الآثار التي لا يختلف فيها الـرأي ليست آثـارا، وان أسوأ ما يصيـب الكتابـة هو الصمت والسكوت.. لـذلك رأينا الابحـاث المقدمـة تدرس، تبحث، تناقش، تقبل ترفض وتخالف. وهذا ما أسميه روعة الفكر وروعة الابداع وروعة النقاش وروعة التحليل».

## 24 ـ 25 مــــاي 1997

# وجسور التواصل مع الوطن

ثم أضاف : وإن مـا استمعنا اليه خلال يـومين يدل على أمـر كبير وهاجس في الفكـر التونسي، إنـه هاجس الهجـرة الذي تغيرت مفاهيمه ومقاييسه عما كانت عليه بالامس، أي منذ طه حسين وسهيل ادريـس وخير الدين وعلي الورداني ويحيى حقي.

وكنت أود أن نضـع هذا الابداع المهجـري في اطار الابداع التـونسي أو الابـداع العـربي عمومـا. واعتقـد ان الابـداع التونسي بالمهجر لا ينقطع عن الانتاج الابداعي في تونس. أي لا تجزيئيـة في الابـداع. وقــد قضيت بين الامس واليـوم ساعات ممتعـة وشعرت بالاعتزاز الكبير وأنـا بين زملائي وأصدقائي الذين لا أفاضل بينهم»...

**الاستاذ الميداني بن صالح :**

«كنت أود ان تكون كلمتي قصيرة خاطفة لكن، اجبرني الاستاذ المنجي الشملي أن أمطّط هذه الكلمة شيئا ما».

لقد تحدثت إلى صحيفة يومية تونسية قبل يوم من وفاة المرحوم فاضل الجمالي وقلت على الرغم من أن الحديث سياسي. انه في سنة 1958 عندما اعلنت الوحدة بين سوريا ومصر خرجت لأول مرة في بغداد نظمها التونسيون والمغاربة والقي القبض على عدد منهم وكان المرحوم فاضل الجمالي وزيرا للخارجية آنذاك ورغم ما عرف به نوري السعيد فقد أذن المرحوم باطلاق سراح كافة الطلبة الذين أوقفوا... وذكرت هذا فقط للتاريخ. وصحافتنا التونسية شاهدة على ما قام به هذا الرجل إزاء القضية التونسية إذ ادخل الوفد التونسي في الامم المتحدة ضمن الوفد العراقي. رحم الله هذا الرجل الذي كان عربيا وتونسيا.

وأكد المداخل : «ثم أوحى لي الاستاذ الشملي بكلمة التجزيئية التلفيقية، فاعتقد أن فشل ما يسمى بالحركات الاصلاحية والنهضوية هي النظرة التجزيئية ـ الانتقائية .

وقد نظرت الى الأخ محمد القاضي فرأيت فيه اصراره

وتأكيده على كلمة المحاولات الاصلاحية.

والشيء الذي نؤمن به في اتحاد الكتاب التونسيين هو عدم التجـزئة الانتقائيـة في الادب التونسي سـواء كـان مكتوبـا بالعربية أو بالفرنسية أو بلغـة أخرى، خاصة وأننا خرجنا كتونسيين لنلعب في فضاءات الآخـرين واللعب في فضاءات الآخرين يتطلب احذية وملابس وقـدرات جديدة وحركات محددة. والشيء الذي يعـد به اتحاد الكتـاب التونسيين هي أنه سـوف يصدر عددا مـن مجلة المسار يكـون مخصصا لهذه الندوة . فالرجاء من الاخوة مدنا بمداخلاتهم لنشرها . كما أننا سننشر ببليوغـرافيا حول كل ما كتب بـالعربية أو بالفرنسية بالمهجر.



وأخيرا فإنني أشكر كافة الاخوة الذين ساهموا في إنجاح هـذه الندوة بمـداخـلاتهم وحضـورهم ونقاشـاتهم وعلى رأسهم الاستـاذ المنجي الشملي الذي كلفنـاه بالاشراف على هـذه النـدوة والاستـاذ الشملي أحـد مـؤسسي الجامعـة التونسية .

## الروائي صلاح الدين بوجاه

○ الناقد يؤدي دور الخصيّ الذي يشهد ألاعيب سادة القصر.

○ لا بقاء لثقافة أحادية تعلي من شان اللون الأوحد ولا بقاء لهذا الوطن إلا في حفاظه على الكثرة التي تمثل وحدته الحقيقية.

○ علينا أن نجيد الانصات والصمت لأن الجلبة لا تغري.

○ الاعمال الجيّدة تمتّ بصلة أبدية إلى تلك المجاهل التي تختزل انكسارات الذات والسلالة.

○ لماذا لا يسعى جيلنا إلى لَمّ شتات سماته وملامحه الجامعة المانعة.. إنه جيل قلق.

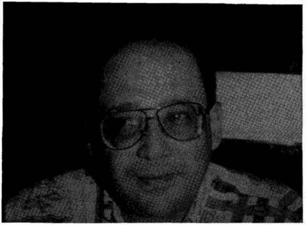
○ الصوفية القيروانية عملت على تشويش المنظومة السائدة ورغبت في تكريس الاختلاف.. إنها باتت مثل الوثنية الرافضة للنظرة الاحادية العاملة على محاورة الاب الواحد والحاكم الواحد والاله الواحد..

○ لا أطمئن إلى تسلط النقد الجامعي على الساحة الابداعية خاصة إذا افتقر اصحابه إلى ألوان الذوق ورهافة الحس وحسن التواطؤ.

○ يخطىء الكثير من زملائنا في الجامعة حين يضفون على الناقد لبوس القاضي أو الحاكم المحقق أو سادن

مقدمة :

الروائي والجامعي صلاح الدين بوجاه هو من الجيل الذي ولد لدى خروج الفرنسيين ونشأ في ظل الاستقلال مع ما حفّ به من تحولات، فلم يعرف توازنات البنية التقليدية السابقة.



المعبد.

○ على الرغم من ان الجامعة ادركت عقدها الرابع فإنه للاسف، ما زلنا نمر بمرحلة قصور صريح في تناول الاعمال الابداعية.

○ العمل السياسي منذ القديم يقوم في جوهره على الكثير من الدعائم التي يقوم عليها الفن.

○ عالم السياسة عندي وعالم الابداع ينتميان إلى مجال واحد هو مجال الحلم الذي ينشد التحقق.

○ على الشعراء والكتاب ان يمضوا في سبيلهم دون المبالغة فيما يقال في شانهم.

○ النص المتهافت يقتضي نقدا متهافتا.



اطلع على الادب العربي قديمه وحديثه، كما اطلع على الادب العالمي عبر اللغة الفرنسية حتى طوحت به رياح الكتب وأشرعة السفر هنا وهناك فعبرت أعماله النقدية والابداعية عن حرقة الاختلاف والقلق ـ

قلق ابنـاء جيلـه الممـزق بين بنيـة تقليديـة مطمئنـة إلى مستقـراتها وثوابتها المعرفية واختياراتها الفنية وبين البنية المنشودة التي لبثت من قبيل مـا يصبـو اليـه هـذا الجيل. ومن هنـا فإن مجمل نتـاجـات الروائي والجامعي صلاح الدين بوجاه تتنزل في هذا التجاذب وفي هذه المسافة التي تتسع أحيانا وتضيق أحيانا أخرى حتى اننا نراه يتحول من الكتابة النقدية والدراسة الادبيـة مثل «الرواية العربية بين الرمز والاسطورة» ـ «الـرواية العربية بين الجوهر والعـرض»، إلى الكتابة الابـداعية روايـة وقصـة فينتج «مـدوّنـة الاعترافات والاسرار» ــو «التاج» و «الخنجـر والجسد»، «حمام الـزغبار» فــ «النخّاس» التي حققت نجاحا واضحا.

التقينـاه في هــذا الحوار وهـو ينكب على وضـع اللمسـات الاخيرة لرواية ستظهر قريبا تحت عنوان «الميقات الآخر» لنتباحث معه جدلا في قضايا مستقبل الثقــافة الوطنــيــة صراع الجامعيين وقضايا تكتشفها في هذه الرحلة الادبية.

## المستقبل الثقافي لتونس الغد

□ س : اختيار تـونس عـاصمة ثقـافية لسنـة 1997 طرح عـديد الاسئلة الهامة من بينها : إلى أي مدى يمكن ان تشكل هذه المحطة قاعدة صلبة لتجـذّر العمل الثقافي الـوطني، وكيفية تصـوّر المستقبل الثقافي لتونس الغـد، هل هناك بعض الاجـوبة عن هذه الاسئلـة الكبرى عند الروائـي والجــامعي صــلاح الدين بوجاه ؟

□ **س : اختيار تـونس عاصمة ثقـافية لسنة 1997 طرح عـديد الاسئلة الهامة من بينها : إلى أي مدى يمكن ان تشكل هذه المحطة ؟**

● ج . لليـونسكـو مقـاييسهـا. ولا شك انـه من دواعي الاعتـزاز أن تستجيب تونس لمثل هـذه الاقتضاءات العالميـة. ففي ذلك رمز عميق، وفي ذلك شاهد على سلامة التوجه.

والحق أن مفهوم «الأمن الثقافي الشامل» الذي ترفع تونس رايته اليوم يقـوم على الجمع بين الأمني الصرف والاقتصـــادي والاجتماعي ضمن «الثقافي الشامل»، بحيث يكون اختيار تونس عاصمة ثقافية لسنة 1997 من قبيل الجزم الصريح بأن هذا البلد الـذي أدى دورا محوريا في منظومة «العالم القديم»... يـدعى اليوم أيضا للنهوض بمهام حضـارية جسام في «منظومة المتوسط الغربي» هذه التي ما فتئت ملامحها تتجلى قدما.

قُلت إن هذا من دواعي الاعتزاز الصريـح. لكننا ننشد جميعا ألا يلبث الأمر بـالنسبة الينا من قبيل التشريف... فعسى أن نجعل من هـذه السنة التي تختتم عشرية العـواصم الثقافية سنـة تفتح عشرية ثقافية تـونسية ثرية بالتصور والانجاز ضمن تمثلنا لمستقبل الثقافة في تونس.

ومن أوكد مـلامح هذا «المستقبل الثقـافي» في رأيي الإلحاح على وجوب تكريس التعـدد والاختلاف. فلا بقاء لثقـافة أحاديـة تعلي من شأن اللون الأوحد !

لـذلك علينـا أن ننشـد التـــوازن في التعـدد والاختـلاف. ولا شك ان للمفهومين بعدا سياسيـا صريحا، وإني أتشبث به وأدعمه... لكن يعنيني خـاصـة أن ألح على ضرورة دعم «الاختـلاف الثقـافي» ... وهـو المفهـوم الأوسع والأشمل .

هذا بلد ثـري، ثري بتاريخه وتراثـه وجهاته وأجيالـه وعناصره ثري بتاريخه وتعدده وتمازج ألوانه... هذا بلد منفتح على الأقرب والأبعد، وفي ذلك عناصر بقائه.

ليس من العسير أن نستقرىء تـاريخ الثلاثة آلاف سنة الماضيـة، هذه

التي أكسبت هذه البقعة من الارض ألوانها الثرية وسماتها العريقة. لذلك يغريني ههنا أن أجزم بأنه لا بقاء لهذا الوطن إلا في حفاظه على الكثرة التي تمثل وحدته الحقيقية. في ذلك تكريس للحرية، ورفع من شأن حقوق الانسان، ونشر لفكر التسامح، ونبذ لعقلية الانغلاق والتحجر، وإقبال على المستقبل بعيدا عن محبطات الفكر والروح والوجدان.

## عسر عملية النشر

**□ س : إثر «النخّاس» انتظرنا طويلا روايتك الجديدة خاصة بعد الصدى الذي حققته، هل أن هذا النجاح هو الذي جعلك تعكف اكثر على الجانب الفني أم أن عسر عملية النشر ما زال متواصلا، كيف نفهم هذا وانت تشرف على سلسلة عربية باحدى دور النشر ؟**

● ج : ألتزم لديك اليوم ـ ولدى أصدقائنا جميعا ـ بأن رواية «الميقات الآخر» ستظهر لدى مستهل الخريف المقبل.

وهي، مثلما أكدت ذلك مرارا، تعد «امتدادا لمحاسن النخاس»... من حيث اقبالها على واقع المدينة العربية، وخاصة واقع «الشوارع الخلفية»... تلك التي تستجمع حقائق الأشياء والناس ضمن مجالات المسكوت عنه والسرّيّ والخفيّ.

أنا يا صديقي لا أؤمن بمسالة عسر النشر بل انني لأراه يسيرا جدا بحيث يتسنى للناس أجمعين أن يدفعوا واحدا من أبواب دور النشر الكثيرة... فيوسع لهم المجال، ثم يظهرون على الناس بما شاؤوا من غث جديدهم وسمينه !

ليست هذه المسألة .

في إمكان الواحد منا اليوم أن ينشر أعماله في تونس أو المغرب أو مصر أو لبنان. انما علينا أن نستجيب إلى اقتضاء الجودة. وهي نسبية جدا مثلما تعلم. لكن فلنقل أولا انها تنبع من رضانا الذاتي عما نكتب، ثم من انسجام ما نكتب مع الذائقة العامة للجيل الذي ننتمي اليه إن فعليا... وإن وهميّا...

ثم تأتي مسألة النشر بعد ذلك.

النشر يا صديقي يسير جدا اليوم !

وعزاؤنا في كل هذا أن ننتظر... عسى أن يتولّد من هذا الرّكام نصّ جيّد ممكن ! هذا ما ننشده، وهو ما لا يفصل في شأنه في سنوات قليلة. الأمر من مستلزمات النظر الزمني الرصين لا من الاقتضاءات الحينية الآنية المتهافتة !

أما السلسلة التي تلمح اليها... فهي من قبيل رغبتي في الانصات إلى الجديد الثقافي روائيا وشعريا ومسرحيا ونقديا.

فلنرهف السمع جميعا ... !

هذه تحولات جمّة تأخذ بناصية هذا الوطن، تونسيا وعربيا وعالميا. علينا أن نجيد الانصات والصمت. ان الجلبة لا تغريني !

## الحساسية الجديدة

□ **س : علمنا انه قد نشأ حوار بين نخبة من المثقفين حول ميلاد ضرب من «الحساسية الجديدة» في السرد والشعر والنقد. كيف ترهف السمع لجديد الساحة الثقافية في هذا المجال ؟**

● ج : تتعاقب الأجيال وتترافد، ويعسر الظفر بالسّمات التي تميّزها من سواها. فهي مشدودة إلى بعضها البعض بأسباب ظاهرة وأخرى خفية.

واعتقد ان هذا «الجيل الوسيط» الذي انتمي اليه ـ وكيف أطمئن إلى هذه التسمية؟ ـ قد لبث في منزلة بين منزلتين. ملامح الجيل السابق واضحة جلية مستقرة، ولعلها تكون قد سايرت مرحلة فكرية وسياسية واجتماعية ما فتولّدت منها وتأثرت بها وأثرت فيها... أما الجيل اللاحق ـ هذا الذي هو اليوم في طور التشكل والولادة ـ فلم يشتدّ عوده بعد...! .

لماذا لا يسعى هذا «الجيل الوسيط» ـ والمصطلح فضفاض مثلما ترى ـ إلى لمّ شتات سماته وملامحه الجامعة المانعة ؟!.

لقد ولدنا لدى خروج الفرنسيين، فلم نعرف هؤلاء، ونشأنا في ظل

الاستقلال مع ما حفّ به من تحولات شتى... فلم نعرف توازنات البنية التقليدية السابقة، اطلعنا على الأدب العربي قديمه وحديثه، واطلعنا على الأدب العالمي عبر اللغة الفرنسية - في الغالب الأعمّ -.. ثم طوحت بنا رياح الكتب وأشرعة السفر هنا وهناك... فعبرّت أعمالنا الابداعية عن حرقة الاختلاف!

إني لأزعم ان هذا الجيل يمكن أن ينعت «بالجيل القلق». فالبنية التقليدية مطمئنة إلى مستقراتها وثوابتها المعرفية واختياراتها الفنية، والبنية المنشودة لبثت من قبيل ما نصبو إليه!

أما غير هؤلاء وغير أولئك فلقد لبثوا على قلق كأن الريح تحتهم! وهي لعمري وضعية جيدة! فهي ضرورية - وقد تكون غير كافية - لانتاج أدب وفن عميقين ثريين.

## ما بعد صوفية القيروان

**□ س : أما الآن وقد ذهب زمن التصوّف قيروانيا وعربيا،، فما هي - في نظرك - سمات «ما بعد تلك المرحلة» التي لبثت اليوم مجرّد ذكرى؟!**

● ج : أصدقائنا الذين نعتوا يوما «بالمتصوفة» ينتمون ايضا إلى هذا الجيل الوسيط الذي نحن بصدد تناوله. فلقد عملوا على تشويش المنظومة السائدة في مستوى الأغراض وكيفيات التناول فاستندوا إلى التجربة الروحية القديمة واستحضروا اللفظة المنتقاة... واستحدثوا صورهم الخاصة بهم.

لقد رغبوا في تكريس الاختلاف، وهم يسعون اليوم إلى الغاية ذاتها عبر أدوات جديدة وأساليب معالجة مغايرة.

المراحل جميعا يتناسل بعضها من البعض الآخر لذلك يعسر - فيما أرى - أن نجعل لها فواصل زمانية دقيقة، انما قصارى ان نقول إن تلك

الوجهة في التناول تندرج ضمن مسار عام يسعى إلى هتك السائد ونزع القداسة عن المستقر.

أفليس ذلك من قبيل «الوثنية» الرافضة للنظرة الاحادية العاملة على محاورة الأب الواحد والحاكم الواحد والاله الواحد ؟!

هذا المدخل - في زعمي - من المداخل الممكنة إلى قراءة نماذج عديدة مما أنتج هذا الجيل الذي نحن بصدده.

وههنا نلتقي أيضا سبل التعدد والعمل على تكريس الكثرة والاختلاف حفاظا على ثراء الجدل وتجاوزا لإغراء كسل السبل المطروقة.

## مرساة مدينة بلا بحر

**□ س : زرت القيروان منذ اسبوع فانتبهت الى ميلاد نصب جديد فوق قاعدة من آجر ولبن قديم : نصب قوامه مرساة تسند مرساة ! هذه مدينة بلا بحر... فما قصة المرساة يا ترى ؟!**

● ج - : هي مرساة «سيدي عمر عبادة» . ولك أن تتساءل في شانه : فهو الولي الصالح بالنسبة الى الغالب الأعم من الناس، وهو صاحب الشطح وارتياد عوالم الأفيون لدى البعض... !



ولكنه في حالاته جميعا فنان يمكن أن يلقب اليوم «بالسريالي». لقد أهدى المدينة غليونا عملاقا - طويلا جدا فعلا - ومرساة ضخمة وسلاسل شتى والواحا وكتابات غامضة...

ولا شكّ ان استخراج المرساة من الضريح وعرضها على قاعدة من لبن وآجر على كثب من السور التاريخي يعد من قبيل الرمز الذي يجعل هذه المدينة تعكف على تناقضات رموزها الكيانية. فهذه مرساة في مدينة بلا بحر!!

## رجال الجامعة بين الابداعي والاكاديمي

**□ س : أغلب رجال الجامعة يهتمون في البداية بالنقد، لكن فيما بعد نعيش معهم كشعراء... بماذا تفسر اقتران النقد برجال الجامعة، ثم لماذا اختصصت في الرواية بعد النقد ؟**

● ج : صلة النقد بالابداع صلة ملغزة، ألم يقل بعض الكتاب المعدودين إن الناقد يؤدي دور الخصيّ الذي يشهد الاعيب سادة القصر ! دون أن نزجّ فعلا بالناقد في هذا الوضع المؤذي... نقول إنه يساهم في العملية الابداعية بكيفيته الخاصة، فهو حاضر غائب، لكنه في حالاته جميعا «شريـــك» ضروري ! فهو يضبط ويقنّن ويقارن ويستنتج. وقصة العلاقة بين النقد والابداع عندنا في تونس لا تختلف كثيرا عما شهدته الثقافات الكبرى من اخذ ورد بين المجالين. لكنني لا أطمئن إلى تسلط النقد الجامعي على الساحة الابداعية خاصة إذا ما افتقر أصحابه إلى ألوان الذوق ورهافة الحسّ وحسن التواطؤ مع الاعمال المدروسة.

يخطىء الكثير من زملائنا في الجامعة التونسية حين يضفون على الناقد لبوس القاضي أو الحاكم المحقق أو سادن المعبد...

قصارى ما تقتضيه الساحة الابداعية من الاساتذة المتخصصين ان يحسنوا الانصات للجيّد من جديد الادب التونسي والعربي.

الجامعة التونسية تدرك عقدها الرابع. والمدارس والمعاهد قد انتشرت في الريف والمدينة والجبل فأدركت هذه البلاد مرحلة حسنة جدا من مراحل تجاوز الأمية... لكن للأسف لا زلنا نمر بمرحلة قصور صريح في تناول الاعمال الابداعية.

الجامعة التونسية تنشر العلم والمعرفة. لكن هذه المهمة الجليلة الراقية لا تسوّغ لها ان تكون الحكم الاوحد على ما ينشأ من ظواهر في الساحة الثقافية. وما فتئت أكرّر أن العمل المخبري لا يفضي بالضرورة الى نص نقدي جيّد. فلنذكر «جيل الرواد» في تونس ومصر... بل وفرنسا وايطاليا دون تعرض إلى الأسماء.

لقد أدركوا كيف يخططون سبيلا وسطى بين الجامعي والمخبري والثقافي المتحوّل، حيث نسغ الحياة الحقيقي.

أما فيما يتصل بكتابتي في مجالي الرواية والقصة، فإنني لا أذيع سرّا إذا

ما ذكرت بأنني قد ساهمت بنماذج شتى من انتاجي منذ بداية السبعينات. ثم كان الاقبال على النقد الادبي بعد ذلك لاقتضاءات جامعية تتصل باعداد هـذه الاطـروحـة أو تلك أو ببعض مـا القيت من دروس في مجال الادب الحديث. لذلك أجزم بأنني كاتب رواية قبل أن أكـون ناقدا... سواء زمانيا أو ترتيبيا.

**الأبـعد والأقرب فـي السياسـة والثقافة**

**□ س : يجمع الملاحظـون على أن العمل السيـاسي ينتمي إلى دائرة الحينيّ المعتـاد، بينما يضرب العمل الثقـافي في مجالات فكريـة أوسع جدا، فما موقفك من الأبعد والأقرب ؟**

● ج : مهما تباعدت مجالات الاهتمام، فان كيفيات التعامل معها تتصل بتصـوّر كل منا بشخصيتـه وبردود فعلـه إزاء الحيني والـزماني. وقـد أفاجئك إذا مـا أكدت ان العمل السيـاسي أوثق صلة بالكتـابة الـروائية من النقد. فالعمل السيـاسي منذ القديم يقوم في جوهـره على الكثير من الدعائم التي يقوم عليها الفن. ومن أوكدها مرونة الفكر والممارسة، سرعة البديهة، حسن التأقلم مع الاوضـاع، محبـة الآخـر، الاقبـال على تجويـد النتـائج والاعلاء من شأن الحلم والمنشود والرغبة في تجاوز المتاح الضيّق.

هذه كلها من قبيل الألاعيب الفنية الجميلة والنـاجعة التي لا يعرفهـــا النقد !

أو فلنلتزم جانب الدقة لا يعرفهـا الناقد المخبري. أما ذلك الضرب الآخر من النقد السّلس المساهم في حركة العمل الادبي المرتاد لتخومه القصية ... فهو ما ننشده.

أو فلنختزل المسألـة يا صديقي : عـالم السياسة عندي وعـالم الابداع الادبي ينتميان إلى مجال واحد، هو مجال الحلم الذي ينشد التحقق.

**صـــراع المواقـــع..... صـــراع الفكــر**

**□ س : لا شك أنك تــابعـت ككل مثقف وجـــامعي الجدل الـــذي استشرى مؤخرا في الســاحة الجامعية، هل تعتقـد أن هذا الصراع هو**

**صراع مـواقع أم صراع يهدف إلى الاضافـة وتعميق الجدل بما يخدم الثقافة ؟**

● ج : دون تحديد «المواقـــع» و «الثقـــافة»، فإنني أقـول : هو هذا وذلك في نفس الوقت .

المعارك الادبية ضرورية بالنسبة الى كل حـركة ثقافية تسعى إلى توليد عناصرها وصياغة فعلها وردود فعلها.

فإذا ما تأملنا الادب العـربي منذ العصر الجاهلي وقفنا على يقين يجعل من الخصومات الادبية مراحل تحوّل تولّـد حساسيات جديدة وتيارات ومدارس جديدة. ومنذ القديم أيضا كانت الدواعي الذاتية تلابس الدواعي العامة.

بعيدا عن الأحكـام الاخلاقية القـاصرة أجزم بان التناقضـات المتصلة بجميع فنون الجدل والسجال لا ريب تفضي بنا إلى الامام.

**صـــراخ الشعـراء ... مـــوت الشعـــر**

**□ س : المتابع للساحة الثقافية يتـوقف عند ظاهرة غريبة تتمثل في تعالي صراخ الشعراء والمبدعين عامة وتذمرهم من اهمال النقاد لهم في الوقت الذي يحظى غيرهم من الاصوات ومن بلـدان عربية مختلفة باهتمام رجال النقد... هل لدينا شعراء أصلا ؟**

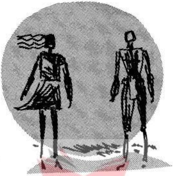
● ج : كنا تنـاولنا المسألـة في مجال الاشارة إلى النقـد والابداع. وإني لأختزل رأيـي فيما يلي : على الشعراء والكتاب ان يمضـوا في سبيلهم دون المبالغـة في الاهتمام بما يقـال في شأنهم. ولنكن جميعـا واثقين من ان النصوص الجيّدة ستلبث باقية بين يدي ذلك الحكم الاكبر : التاريخ.

النص المتهـافت يقتضي نقدا متهـافتا. أمـا النص المطمئن إلى نقائصـه ومحاسنه فهو كالحسناء التي تكون جميلة وتصمت !

**□ أجـــرى الحـــوار**
**أنور عبد المحسن**

قصة

ابو بكر العيادي





# اللقاء

أفقت مذعورا، والرجفة تهز بدني هزا عنيفا، والبرد ينخز مني العظم بأسياخ حادة، وأنفاسي متتابعة مخطوفة بيض تكاد تلمس.

كان الوقت ليلا، أنوار مصابيح الشارع صفر تومض بهالات مستديرة في بلل الهواء المحمل بماء الضباب. سيارات تمرق في ازير يمزق سكون الليل . في منعطف

الشـارع عمال التنظيف بازيـائهم اللامعة يفـرغون المزابل المصطفة امام البناءات في شـاحنة خضراء ، وانا ساكن هاجد على مقعد خشبي بقارعة الطـريق ، اطرافي متجمدة، واسناني تقرقف ، ومخاطي يسيل من انفي ، وراسي صلد لا يسعفني باي تفكير .

لا ادري كيف قـادتني قدمـاي الى هذا المكان ، لاضطجع في الخلاء كـالمتشرد ، تحت لسع البرد ولفح الـرطـوبـة ، فـاعـرض صحتي وسلامتي لاخطار جسام .

اشتبكت في ذهني التسـاؤلات والوساوس. شعرت وأنا أنهض، كأن أطنانا من الحديد مشدودة إلى قدمي. ورغم الدوار الذي تملكني، خطوت بغير هـدى بضع خطوات، مستندا الى كل مـا هو قـائم حولي. كان لابـد أن أسير لأبعث الدفء في شراييني الهامدة، وأجلـو الغمامة التي رانت على ذهني.

أضواء يافطات المحلات المغلقة. رذاذ واهن بدأ يهطل ناعما خفيفا. سماء معكـرة بأشبـاح غيـوم ولا نجمة واحدة.

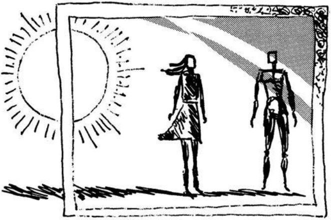
لمحت في نهايـة الشـارع مقهى مفتوحا، فدخلت.

جاءني النادل بقهوة لم أطلبها .

ــ لا شيء يعـوض عن القهـوة المرة، قـال وهـو يحييني تحيـة الصباح «بُنجور !»

لا شك أنـه ظنني ثمـلا. هكـذا لاحت له حـالي فيما يبدو. «بُنجور ؟» . تأملت سـاعتي . فـاجـاني ان ارى عقـاربها واقفة، وزجـاجـها مشروخا قليلا . نظرت حولي زبائن يحتسـون مشروبـاتهم على «الكونتوار» ، اخران جـالسـان يلتهمان وجبـة الافطـار امـراة بمعطف من الجلد الاسود تنظر الى نقطـة غير محددة وعلى الجدار المقـابل سـاعة تشير الى الـرابعـة والدقيقة العاشرة .

رشفت القهـوة بيـد مـرتجفـة وبخـارهـا الساخن يصّـاعـد الى وجهي وصور واخيلة تحوم فوق سهوب الذهن .



في البداية كانت مزقا متناثرة لصور غائمة ومع دبيب القهوة ودفء المكان اخذت الغمامة تنقشع شيئا فشيئا وينجلي الضباب لينجاب عن امكنة ووجوه لها في نفسي حضور خاص.

في مقهى بباب «اورليان» كانت جلساتي الاولى وحيدا كالعادة باب من الابواب التي تحيط بباريس كسائر المدن القديمة ولم تبق منها مقتضيات الحياة العصرية غير الاسم ولو انها لا تحمل اسماء ام كنتها كما في تونس مثلا وانما اسماء المدن القريبة التي تؤدي اليها.

كان لابد أن أبقى.

ما كان يجري في بلدي لم يكن دافعي الوحيد. ثمة هاجس خفي ملحاح كان يدعوني الى البقاء. لا أحد عاد من هذا البلد خائبا أو هكذا توهمت — وأنا أرى أفواج المهاجرين العائدين محملين بالشهائد والسيارات والبضائع والاموال. وما كنت أريد لنفسي أن أكون استثناء للقاعدة.

خيبة الايام الخوالي لم تفلل عزمي على خوض غمار التجربة. لا فضيلة بلا تجربة، قال توما الاقويني وما زال في الجيب متسع للبقاء بهذه المدينة المتبرجة التي تفتح أحضانها لكل الاجناس.

هنا يتنفس المرء نسائم الحرية. يمارس طقوسه ونزواته وجنونه، يعبر عن أفكاره وميوله وشذوذه، دون أن يحاسبه أحد عما يفعل. حتى الفاشيون والنازيون الجدد واللوطيون لهم مطبوعات خاصة، يشيعون فيها بين الناس أفكارهم، لا تصادرها سلطة ولا يعترض عليها مسؤول.

على وجه الصبح، كنت أغادر غرفتي بفندق متواضع بالدائرة الرابعة عشرة، انتحي مكانا يكون فيه ظهري الى الحائط — تلك عادة مزمنة لم استطع التخلص منها — وأظل ساعات أرقب الشارع من خلف زجاج الواجهة، ثم انصرف الى مكاتب التشغيل المؤقت، بحثا عن عمل قد يسوقه القدر الى طريقي.

ألوان من البشر كانت تمر امامي، أفارقة وعرب ويهود وهندوس وأتراك وآسيويون تغص بهم الشوارع الى جانب الاوروبيين وأهل البلاد. حسان حاسرات الثوب، فتيان بملابس غريبة، عجائز في سراويل ضيقة وفساتين قصيرة تبرز سيقانا لا تحتمل العين رؤيتها، مخنثون بشعور ملونة وأقراط، متخاصرون كالعشاق، أزواج متعانقون تحت المطر والانظار، طالبات يستجدين من المارة سيجارة او تذكرة مترو...

كل تلك المشاهد، على غرابتها، لا تثير فضول الا من كانوا حديثي عهد بهذا المجتمع مثلي والعرب عموما. لا تعاليق ساخرة، لا كلمات نابية مستفزة، لا حركات سمجة أو نظرات وقحة. الحرية هنا، ليست كلاما أجوف.

رواد المقهى، أغلبهم من المسنين. رجال ونساء، كل على

حـــدة، يستهلكـــــون على مهل حـــــاجتهم، يعمـــــرون أوراق اليـانصيب المختلفة، طمعـا فـــي ثـــروة لا أدري متى سيتمتعـون بها، وينصرفـون قبيـل الـزوال في صمت كأنهم ماضون الى حتفهم.

نادل شاب قمحي البشرة يدعى سيلفيـو، كـان يحاول من حين إلى آخـر أن يشيع بينهـم شيئـا من المرح، فلا يظفـر بغير ابتسامـة أو ايماءة خفيفـة، يلـوذون أثـرهـا بـالصمت، كأنهم يحملـون على كواهلهم هموم الدنيا كلها.

تـذكـرت فـريـد، ذلك الشـاب الايراني الذي يعمل حارسا ليليا في الفندق الذي نولت به. أناديه فريد، فيصصح لي «فـريـــدون» حتى صرت ادعـوه «آيـة الله». قـال لي : «الناس هنا باردو الطباع، يعانون من عـزلـة قاتلـة، فـرضهـا نمط العيش الـذي اختاروه. يكـدون في ايقـــاع رهيب لا يشغلهم غير المال والجنس. أما العجائز، فأمرهم لله، لم يبق لهم الا الكــــلاب والموت البطيء».

كنت أحدثه عن بـاريس حديث



المنبهر، فيقــول لي : «تمهل. لا تتعجل الاحكام» فـأقول في نفسي : «مسكين. مـاذا يعرف مـن الدنيـا، وهـو لا يصحو الا بـالليل، لينغلق في هــذا الفنــدق الـذي يــؤمــه المنحـرفون والصراصير اكثـر من سـواهم» حتى علمت انـه حـاصل على شهادة عليـا من الصربون. في البـداية استغـربت، ولكن تجربتي الخاصــة اكـدت لي أن الشهـائد لا قيمـة لها هنـا. أقصـد، لا يمكن أن تفتح للمـرء ابــواب الشغل. قلـة نادرة كانت لها سندًا لغد أفضل. أمـا البقيـة، فقـد ظلت الشهـادات الجامعية مجرد ألقاب يـزينون بها تـراجم حيـاتهم في ســوق الشغل، ولا يظفرون بغير أعمال هامشية في المطــاعم والفنــادق والمتـاجــر ومحطات البنزين...

كـان يقول لي : «سيجيء يـوم، تكتشف فيــه بنفسـك أي حيــاة نعيش، بعيـدا عن أوطــاننـا، قـد يبتسم لـك الحظ فتجمع مــالا لا تحلم بــه، ولكن ذلك لا يعــوض لحظـة واحـدة تعيشهــا مع أهلك واصدقائك. الغربة يا صديقي نوع من الموت، بل أبشع وجـه للموت. هنا، في هذه المدينـة الكئيبة، نموت في اليوم ألف مرة ومرة».

وفي ليلـة قال لي : «سئمت هـذا العمل، يخيـل الي أني قـــوّاد في ماخور. الأجر الذي أتقاضاه حرام في حـرام. تصــور أن كل زبـائن الفنـدق، الا مــا نـدر، يجيئــون لمضـاجعة قحـاب يلتقطـونهن في الشــارع. المصيبــــة أن أغلب المومســات من بنــات المسلمين. وجدن في البغاء أيسر السبل لكسب المال. بعضهم طــالبـات في عمــر الـزهـور، يسفحـن أنـوثتهن مع الكفار».

لم أعلق، وددت أن أقـول له ان تعاطـي البغاء مع الاجانـب سوق رائجة حتى في بلداننا. ولكني آثرت الصمت.

* * *

السادســـة.

لم يكن ثمة ما يوحي بطلوع الفجر غير الحركة التي بدأت تدب في الشارع، وتزايد عدد الوافدين الى المقهى.. كانوا مبللين. من خلال الواجهة الزجاجية لاحت خيوط رقيقة من المطر، تلتمع تحت الأضواء، أضواء السيارات ومصابيح الشارع، ورجال ونساء يغذون السير محتمين بالمطريات. معظم الزبائن كانوا يتجهون الى «الكونتوار»، يتشرفون قهوة ويتصفحون جريدة يضعها صاحب المقهى على ذمتهم وينصرفون. لاحظت أن بعضهم يستهل يومه بالنبيذ.

طلبت قهوة بشيء من الحليب، «نوازيت» كما يسميها الفرنسيون. وفتشت عن النقود بحركة لا شعورية، لم اكن انوي الانصراف بعد، كانت جيوبي كلها فارغة، خالية تماما الا من جواز السفر. اعتراني ارتباك حاولت السيطرة عليه. أجلت بصري بحذر، وأنا استشعر خوفا من فضائح مماثلة، عانيت منها في شبابي، كنت مثل مُذنب يحاول أن يعرف مَنْ منَ الناس تفطن الى ذنبه. لاحظت أن المرأة ذات المعطف الأسود ترمقني. كانوا كلهم في شغل عني إلا هي. اشتبكت عيناها بعيني لحظة ثم اشاحت بوجهها. لحظة كالدهر، أحسست معها أن المرأة نفذت بعيونها الى خبايا نفسي القصية.

أخيرا تماسكت، طلبت من النادل قطعة سكر ثانية، لعلي أبدّد سحب الشك التي قد تكون جالت بذهنها. وتساءلت : «هل تكون مثلي عاجزة عن دفع الحساب، تتحين فرصة للانسحاب خلسة؟ أم هي عاهرة تنتظر نفحة جود من عاشق عابر؟ أم لعلها من أولئك النساء اللاتي لا يجدن سقفا يؤويهن؟» لا يهم. المهم لم أجد تفسيرا لما حاق بي، ومخرجا مما أنا فيه، أما المرأة، فلا يهمني من أمرها شيء. أشحت عنها بوجهي أنا أيضا وغصت في تجاويف الذاكرة.

* * *

كان المقهى خاليا الا من بعض الشيوخ والعجائز وشاب في زاوية

خافتة الانارة، يداعب فتاة شقراء قصيرة الشعر، ويسرب يده بين الحين والحين تحت قميصها أو تنورتها، فيند عنها تأوه شبق، دون أن يسترعي ذلك انتباه أحد غيري.

التقت عيني بعيني سيدة على حين التفاتة، فنكست بصري خجلا. أحسست في نظراتها نذير التأنيب، وما كنت أريد أن أظهر بمظهر العربي المكبوت الذي ينقّل على النساء أنظارا وقحة. كنت حريصا على أن أبدو متحضرا أنا أيضا، لا أهتم بهذه المشاهد التي لم أعهدها.

انصرفت الى جريدة اشهارية من تلك الجرائد التي توزع في فرنسا مجانا، ولكن قوة خفية كانت تدفعني الى استراق النظر الى الشابين، وتحرك فيّ نوازع شوق مفعمة بالحرارة.

حانت مني التفاتة، فأبصرت رجلا، عربي الملامح، يقبل نحوي. ناحل وخَطَ الشيب صدغيه، ذو عينين جاحظتين ووجنتين بارزتين ولون كئيب. التصقت عيناه بوجهي وهما تتسعان، إبتسم إبتسامة عريضة كشفت عن أسنان يعلوها الاصفرار والقذارة وفتح ذراعيه مرحبا :

ـ عبد الله ! كيف حالك يا رجل ؟

قلت على الفور :

ـ أنتَ مخطىء. لستُ من تعني

قال :

ـ بلى !

وجلس قبالتي دون استئذان وأضاف :

ـ بلى ! أنت عبد الله.

تذكرت مقامة الهمذاني، فقلت بلهجة صارمة خالية من الود :

ـ أرجوك. اسمي عبد الخالق، ولا أعرفك

ضحك بصوت لفت انتباه كل من في المقهى وقال :

ـ كلنا عباد الله. إن كنت نسيتني فأنا لم أنسك. أنا عبد الكريم. ألا تتذكرني ؟

جهدت في تذكره، حتى أيقنت

أن هـذا الوجـه غريب عني تمامـا. توفـرت كل حواسي اتقـاء خطر لم تتضح بعـد مـلامحه وأنـا أقـول ببرود :

ـ آسف. لا أتذكرك .

لم يَبدُ عليه الاستياء كأنـه لم يسمع ما قلت. طلب من سيلفيو أن يجئه بقدم من البيرة، ومال بجذعه نحوي، وقال همسا كمن يفشي سرًا خطيرا :

ـ كيف تترك زوجتك وحيدة، في هذا البلد الغريب ؟

ـ زوجتي ؟ ماذا تخرّف ؟

ـ نسيت كل شيء يا عبد الخالق؟ نسيت حتى زوجتك ؟ لا حـول ولا قوة الا بالله !

وراح يضرب كفا بكف.

هـذا الـرجل يهذي دون شك. لست متـزوجـا. أنـا واثق. مطلق، نعم. ولكني لست متزوجا. تذكرت فاطمة، مطلقتي، فثارت من أعماقي موجة مفعمة بالاسى والحنين.

ـ... ماذا دهاك يا عبد الخالق ؟

طلقتها غصبا عني ...

ـ... كيف تهجرها ؟

ودعتني وفي عينيها المرفوعتين قهر كامل.

ـ... امراة شابة ..

تستجـد الحسرة الاليمـة كلما ذكـرتها، وتغمرني دفقـات حـارة من الماضي تشغل صدري. تساءلت في سري : «هل هاجرت هي أيضا ؟ هل جـاءت تبحث عني بعـد طـول فراق ؟» .

افقت من غشيتي منتفضا :

ـ أنت تهذي يـا رجل. قلت لك إني لست متزوجا.

ـ أنا أدلك عليها إن شئت .

وراح يشرب البيرة في جرعـات صغيرة متتـابعـة دون أن يضيف شيئـا، حتى تستقـر كلماتـه في مستقرها من نفسي.

وتبعتـــه.

كان يمكن أن أتركه وانصرف، أو أرفض اقتراحـــه، أو أشرح لـه اللبس الــذي وقــع فيـه، ولكني رضيت أن اتبعه لطبع فيَّ. كنت ولا ازال طُلعـة يستهـويني المجهـول رغم اني أهابـه. الاضداد تتجاذب رغما عنها كما يقال. جانب غامض في هذه المسألة كان يغذي فضولي.

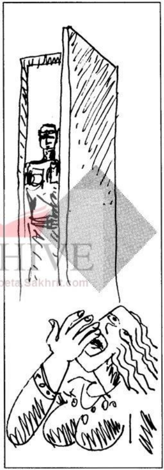
شيءمثل الأكال الشبقي المكبوت كان ينخس جوارحي، ويدفعني إلى امرأة لا أدري إن كنت أعرفها وتعرفني. هذا إن صح أن الرجل ليس نصّابا يروم خداعي. ما شجّعني انه، فيما يبدو، لا تلوح عليه علائم الصعلكة، فضلا عن كونه ضعيف البنية. ثم اني لست صيدا ثمينا. لم يكن معي ساعتها سوى مبلغ ضئيل من المال. البقية كنت أودعتها في خزانة الفندق.

في نهج ضيق بحي بلفيل دلفنا إلى عمارة قديمة توحي بالعبوس. ضغط الرجل جرس باب في الطابق الثاني، وما كاد يُفتح حتى رفع ذراعيه هاتفا مبشرا:

ــ زغردي يا امرأة ! زوجك عاد.

لم تزغرد المرأة لقدومي ولم تفرح.

ظهرت كتلة بدنها معتمة في غبش الردهة. ولكني أدركت في الحين أنها ليست هي. ليست فاطمة. وعادت الوساوس





تنهشني والقلق يمور في صدري.

فكرت في الانسحاب قبل فوات الأوان، غير أن الرجل سبقني الى الباب فأوصده مودعا :

ـ لا أريد أن أكون ضيفا ثقيلا. مع السلامة .

وظل الصمت يرفرف في أرجاء الشقة.

أخيرا تحركت، قبلتني من خدي، خلفت معطفي وقادتني إلى الصالون، وهي تقول بصوت خفيض :

ـ البيت بيتك. تفضل.

ملساء ذات سمرة ناعمة وعينين دعجاوين وشعر كستنائي، تلبس فستانا أسود يبرز ردفين ثقيلين. وجهها يذكرني بامرأة، ولكني واثق أني لم أرها من قبل. قدرت أنها جاوزت الثلاثين بقليل.

لاحظت أن الشقة ضيقة بها غرفتان ومطبخ وحمام. أثاثها قديم، ولكنها مرتبة بعناية وذوق.

جاءت بقدحين من الشاي، وجلست على كنبة مخملية بجانبي، تضج بأسرار الانثى، وأنا حائر لا أدري ماذا أصنع أو ماذا أقول.

طـال الصمت بيننــا وتمطط.
أخيرا قلت :
ـ اسمي عبد الخالق.
واندهشت حين أجابت :
ـ أعرف .
ومـا كدت اسـالها عن اسمهـا حتى قالت وفي عينيهـا سحابة من الانذعار :
ــ انسيت حتى اسمي يـا عبـد الخالق ؟ اجهشت بالبكاء
طفت علي مـوجة من السكينـة الـذاهلـة اما ان تكـون هـذه المراة ممثلـة بـارعة او ان احـدنـا فقـد ذاكرته
ايقنـت اني ازاء وضـع ملتبـس مريب لا سيطرة لي عليه
تذكرت ذلك المدعـو عبد الكريم فـالتجت في صدري المخـاوف من يدري لعلـه راح ينبيء رفقاءه من المنحـرفين بنجـاح الخطـة لعنت مجازفتي وتماثلت لي وجوه اوغاد شرسين يلتذون بـالتنكل بي وهم يقهقهون بفظاظة
كنت كمـن يخطـــو بحــذر وتـوجس فـوق رمـال رخـوة او ارض ملغومة والخطر يتربص بي ليفاجاني في اية لحظة
ـ لم تشرب شايك قالت
ـ لا احب الشاي قلت
ـ قهوة ؟
ـ بل جرعة ماء
وكانها ادركت ما يساورني اذ قـالـت وبسمـة صـافيـة تضيء وجههـا :
ـ لا تخف انـــــت في بيتك لن يفاجئنا احد
ولم يفاجئنا احد حتى الليل
طوال تلك اللحظات حاولت ان ابـدو هادئا طبيعيـا صنعت لنفسي مـاضيـا غـامضا فقـدت خـلالـه ذاكرتي وصلتي بالنـاس والزمان والامكنة وهي تصغي الي باهتمام وراسهــا على صــدري كطفلــة مجهدة
وفي العشاء اكتفيت بكسرة خبز وقطعة جبن وكوب من الماء ارطب

به حلقي الذي جف من كثرة ما دخنت .

في غرفة ضيقة بها سرير عريض وخزانة تشغل واجهتها مرآة عريضة فكت شعرها وتركته ينسدل ليغطي كتفيها وظهرها العاري كانَ الغبش يغمر الغرفة وعلى ضوء الصالة الواهن لاح لي صدر بارز يدفع عنه غلالة منفرجة تعتلي نهدين متاهبين خلعت اقراطها واندست حذوي في الفراش احسست نعومة وجهها وحرارته وهي تلتصق بي ونشقت رائحتها رائحة الجسد الانثوي المميزة وفي لحظة نسيت كل شيء وساوسي ومخاوفي والاخطار المزعومة ماذا يمكن ان يلحقني اكثر من الموت إذا لم يكن من الموت بد...

ـــ الحساب من فضلك قال النادل

ــ اريد قهوة اخرى قلت وانا اداري اضطرابي واحاول ان اكسب الوقت

ـ حانت نوبة التعويض وينبغي ان استخلص الحساب. اغتنمت انشغاله بزبائن آخرين لافكر في الطريقة التي يمكن ان انجو بها من هذه الورطة .

كان الشارع قد بدا يموج بالحركة والناس والعربات في جو مكفهر حزين والمطر ينث بلا انقطاع وهبات البرد تنفذ الى المقهى مع كل قادم او ذاهب والمراة في مكانها يظللها صمت وانهاك .

كنت افكر في الهرب حين لمحت ورقة نقدية على نضد بجانبي عشرون فرنكا ! خطفها دون تردد نقدت النادل ونفحته بالباقي بقشيشا شكرني عليه ولما سالني عن جاري قلت انه في دورة المياه وانصرفت.

حين بلغت الباب حانت مني التفاتة الى المراة رايتها تبتسم لي ابتسامة ذات مغزى ابتسامة متواطئة فقلت في سري : «نجوت فمن ينجيك ؟»

غمرتني موجة باردة وانا اقرع الرصيف بخطى حائرة رشقتني

خيوط المطـر وعبر الانهمار لاح سـديم شفـاف يتماوج بالبنـاءات تحت سماء كئيبة قاتمة.

«عن أي نجـاة تتحـدث يا عبـد الخالق وأنت كعـود سليب في مهب ريـاح عـاتيـة، تمور في صـدرك الحيرة والظنون، وتسحقك أعباء لا تطاق. أي نجـاة وأنت مثقل بهموم ما فتئت تتناسل منذ أن حللت بهذه الـديار الغـريبة المخلـوطة خلطـا عجيبا، وتعشش في نفسك كخـلايا سرطانية تحملها طي جوانحك».

وجدت نفسي مـدفوعـا الى ذلك البيت، بيت حليمـة «زوجتي» هـذا هـو اسمهـا، لعلي أقف على جـواب يطفىء حيرتي.

* * *

حين غادرتها بعـد الليلة الاولى، كنت مقرا العزم على ألاّ أعود ثانية. تسكعت في المدينـــة وحـــواريها وشـوارعهـا وسـاحـاتها المثقلـة بتاريخ ثر، وانا أسترجع تلك الليلة اللذيذة الدافئـة المحفوفة بغموض كثيف، واقلب المسألـة على أوجهها المتعددة علني أجـد تفسيرا مقنعا، دون جدوى.

عنـد هبـوط الليل، قصـدت الفندق. استقبلني شاب مغربي لم أره من قبل.

سألتـه عن فـريـد فقـال لي: «انتحـر». هكـذا، دون مقـدمـات. استبد بي حـزن ورغبة في البكـاء. تـذكرت اللحظـات التي قضيناهـا معـا في بهو الفنـدق، في غفلـة من الـزمن الهارب، نغتـذي بشيء من الدفء البشري الـذي يكاد يكـون معـدومـا في هذه المدينـة البـاردة. يحدثني وأحدثه عن ذكـريات لنا، هنـاك، في ربـوعنـا الحالمة حيث الصفاء والبحر والشمس.

لم أدر كم بقيت في الغــرفـــة، ممـددا أنظـر الى السقف وسحب الدخان بعين سـامدة. كبست على صدري الوحدة والوحشة وذكرى وجـوه حبيبة، وتجمعت الاحـزان في قلبي فجـاة فبكيت. أخـــذت حقيبتي وأموالي وغـادرت الفندق، وبـــي توق الى صـدر أدفن فيه أوجاعي وأشجـاني. حليمة. ليس لي في المدينة سواها.

حين تركتهـا، لم تقل أكثر من : «تصحبك السـلامة» كـانها تودع زوجا ذاهبا الى عمل يؤوب إثره في آخر المسـاء الى وكره، وفي عينيهـا رجاء خفي. أحسست ساعتها أنها ممـزقـة بين فرح كـاذب وخـوف ذليل، تكتم لغـزهـا في صـدرهـا باصرار عنيد.

فتحت لي البـاب فتـوح الفـرح فمهـا بيسمة، وقـالت وهي تأخـذ مني الحقيبـــة وتقبلنـي : «الله يعينك». كـان العشـاء جـاهـزا وشمعـدان تشتعل شموعـه على مهل ومـوسيقى ناعمـة تتراوح في جوانب الشقة. لم تفـاجأ بعودتي كأنها كانت تتوقع قدومي.

طوال تلك المدة التي لا أذكر لها تحديدا، كنت أقوم بواجبي على ما يـرام. واجب زوج نحـــو زوجتــه وبيته، في جو من الألفة والانسجام. كانـت راضية برجل يمـلأ البيت، وكنت قانعا بـامرأة انتشلتني من وحـدتي وهمومي، تسهـر على راحتي وتـواسينـي عنـد الضيق. تقلبت في مهـن كثيرة في الســـوق السوداء، هباط وخياط ومحتسب وبقال ودهان... شحت مدخراتي، وكـان لـزامـا علي أن أعمل لكسب قـوتي وقــوت «زوجتي» وأوفـر لبيتي ما أحتاج اليه.

طـوال ذلك الـوقت، لم أسألها مرة واحدة عن حقيقتها، عن السر الذي تنطوي عليـه، عن دوافعها في إلباس هـذه العلاقة إهابـا شرعيا، رغم إني على يقين أنها تعـرف كما أعـرف أنها ليسـت زوجتي. هي أيضا لم تعد إلى سـؤالي عن حياتي الماضيـــة. حسبهـــا أني رجل وحسبي أنها امـــرأة. حتى عبـد الكريم الذي كان يزورنا بين الفينة والاخـــرى، كـان يتجنب إثـــارة الموضوع. كان يكتفـي بملاحظات عـابرة عن سعـادتنا بعـد افتراق، ويحلو له في كل مـرة ترديد مقطع أغنية لفريـد الاطرش «ختم الصبر بُعدنا بالتـلاقي» مع التذكير دوما بما ذهب اليـه ظنه من أن الاغنيـة تتحدث عن الطلاق حتى صحح له رجل متعلم خطاه.

# إلى أمي في ذكراها الخامسة

محمد الغزالي

مقاطع حزن إلى كل من فقد حنان الأم
وهو في ريعان الشباب

رماني زماني بالأسى وجفاني
واغتال كل أحبتي ونفاني..
والدمع هاجر مقلتيّ كأنه
يحنو عليّ، وربما يأباني،
والصمت في القلب المعذب تائه
فلمن سأشكو روعة الأحزان

***

يا أم في ذكراك قلبي يشتكي مني إليك
أنا في هواك معذب
والشوق يدعوني ليبقيني لديك.
يا أم في ذكراك تأباني الدموعُ
ويدين في حبي على القلب الخضوعُ.

***

أمــي الحبيبــة
إنني أدعوك فاستمعي إلي
ودعي فؤادي يشتكي،
ودعي الدموع تسيل من عينيّ.

قلبي بقلبي من هواك ممزق
والشوق كم يحنو عليّ،
وحدي يطوقني الفراق
وغربتي تجفو
ولكن في المساء
تزورني الذكرى ويغرقني شقائي،
ويتيه فكري بين أطياف الرؤى
باحثا عنك، يرافقه دعائي .
غير أني في سكون الليل أعرف أنّنا
لا نلتقي ...
أنا فلذة الكبد التي من أجلها
ذقت الفراق... ولم تريها
أينعت ، وذهبت أنت
بلا وداعٍ أو لقاءٍ منتظرْ
شاء القدر... شاء الاله فلا مفرْ

***

إن كان حزني من فراقك عالق بحياتي
ومدامعي تزهو بذاتي دائما حتى مماتي
فلقد جفاني يوم ذكرك كل حزني...،
وابتدأت صلاتي .

باريس
صيف 1997
محمد الغزالي

# يا شعراء

# اتحدوا

للشاعر: محمد الرفرافي

ضوء المقال في البدء
يا شعراء اللغة ـ البدء
إتحدوا معي في المسير والكشف
فالموت إزاءكم
والصمت وراءكم
إتحدوا معي في التقاط الصوت
والشكل والضوء
لكي بأشواقنا
نستعيد على أوراقنا
أندلس الحرف
في البدء كانت الكلمة..
بيتا لنا
فاعلنوا بلا خوف
سلطانكم كالورد
وإتحدوا معي

في تأثيث هذا البيت
بما يليق من عالم الأشياء
المبثوث فيكم
بما يليق من عالم الأشياء
الثابتة كالحق
وتلك
اللاعبة كالنرد

يا شعراء اللغة ـ الضوء
تعالوا إلى بدايات البدء
إلى الثغثغة الزاهية
فوق الصفحة البيضاء
تلك المنبسطه
من تبانة المجرة
إلى عصارة الأثداء
تعالوا إلى التأتأة الخجوله
حول الحقيقة العاريهْ
تعالوا إلى النقطة الأولى
من نقاط سطر البدايهْ
لاتستحثوا النهايهْ
توقا إلى الرزق
لتكن خطاكُمُ الصغيرةُ

جليله
على إيقاع من الشّوْق
آخر من الصّدق
فضل المقال بلا فصل

ياشعراء اللّغة ـ الأصْل
مالكُم وامتلاك القول الفصل ؟
اتركوه للذين يسعون إلى شحذ حدود القول
بتقريب الرقاب من حدّ النصل
فقولكم من ضوء وطين
وهذا الحبر الذي بيننا أتى
من حبّار البحر
قبل ان ياتي من الصين
يا شعراء القول
قولكم نشيدُ الفعل
مــــشّــــيــــد
على بساط من ريح ونار
ياشعراء الفعل
فعلكم قد لا يدل عليكم
فانتم ككل الآخرين تسعون
الى الطمأنينة والخبز والغار
باللعب حينا وآخر بالتعب
فلا تضعوا انفسكم في النقطة العمياء

مابين القول اللذيذ والفعل
فتهيمون في واد بغير ذي سمع
فلا انباء ولا اصداء

ياشعراء اللغة ـ الشكل
اتحدوا معي في الشوق
تفرقوا في القول
فمملكتنا من هذا العالم
اذ تبدا بالعبارة فالتبرعم
فالإنبات فالإنتجاع السائب
من واد الى واد
ومن حقل الى حقل
مملكتنا دوار الشمس
احلام الصبايا وارغفة الخبز
سواقي الريف والتماع سواحل الليل
طباشير المدارس وافكار اليوم والامس
قوارير العطر ، سكك الحديد والعمله
اعشاش الطيور، أعشاب السطوح
وكل قرى النمل

ياشعراء اللغة ـ الوصل
لاتقنعوا بالهمس
فكل الصنوبر والنخل
اعمدتكم في الحكمة
وصومعات لكم

أثمة انتم في صمت الجماعه
وفي صلوات سعيها إلى روح جديد
صوتكم في آذانها خرير و رعد
فلتكونوا الفيصل الروحي
بين تخمتها البلهاء والمجاعه

ياشعراء البذل
اتحدوا معي
في رفع انقاض البؤس
ونفايات الجهل
في وقت نزيف الجسد
الهارب من سيادته
إلى طقوس الآخره
الهارب من سعادته
إلى ساحة الاقصاء والقتل
اتحدوا معي
في تكرير الطاقات الغفّلْ
في اكرام الطفل بالعالم
والاخذ بقلب المراهق الحالم
بسكب البراءة على الكهل
وانقاذ المسن من صمته القاتم

يا شعراء اللغة ـ الاهل

اتحدوا معي
في السؤال المولّـد للسؤال
تفرقوا في السلالة والعدد
مملكتنا المجهولة لا تحتمل التشابه
ولاترضى بغير جنونكم
دستورا لتاجها
بغير ذواتكم
حصونا لامنها

ياشعراء النقل
لاتجعلوا من الذاكرة طاحونة رغي
انسوا جرير والنابغه
بحور الخليل وتعويمات احفاده
تعالوا الى سطر في جواب صبية
إلى لحن في جوف اغنية
تعالوا الى احلامكم ، اناسكم
واشيائكم اليومية
إلى ما علق بمتاعكم من احداث
وقع خطاكم ، عاداتكم البيتية
وترتيب الاثاث ،
إلى ما تثيره فيكم
فواكه المواسم والاجواء
نوافذ الجوار والوان الستائر
اسماء النباتات والامكنه
مواعيدكم ايقاع الشوارع

انباء العالم ورصد المشاعر
تعالوا الى الجلسات الحميمة
والأحاجي والنوادر
إلى اقتداء الصغار بتفاصيل الكبار
إلى ارتعاب الحشرة
دقات الساعة وشفافية الماء
إلى خلوات عاداتكم الطبيعية
تعالوا إلى لطافة كل ما صَغُرَ
من حواليكم
وكثافة كل ما عظم

يا شعراء اللغة ـ الدغل
الدغل صنو لسانكم
اصل توحشكم المخاتل
فلا تهابوا افعى الشجرة
ولا تانفوا ذئب الشنفرى
فليس لغزال على السلحفاة فضل
وليست الفراشة اذكى من البغل
فليكن لسانكم موسوعة الارض
ونصّكم ميثاق سعادتها
لاتوحش في الحرف يلغي اناقته
ولا اناقة في الحرف تخفي عريكم
فانتم الدغل والحرف

وما بينهما نسيان وجهل

ياشعراء الهول
توحدوا في الجزء
تفردوا في الكل

ختم المقال بلا ختم

يا شعراء اللغة ـ الام
اتحدوا معي في الحضانة والفطم
في الهم الجميل اذ يلون احلامنا
فيثري اللسان واليد
في الهم الجليل اذ يموسق احزاننا
يحيلنا الى صدى



ياشعراء اللغة ـ الحلم
اتحدوا معي في الصمت
في البكاء والضحك
في الخشوع
امام كل من تجمل بالموت
او تفرد

يا شعراء اللغة ـ القوم
لغة الحرف الذي سما
اتحدوا معي

في ناموس الغرابة
في النوس
في نار المجوس
في طوطم الزنج
في كتب السماء
في قاموس الموج
وفي غرابة الكيمياء

يا شعراء اللغة ـ السلم
اتحدوا معي في محبة الحكمة
والنعمة والنغمة والنسمة
والبسمة البيضاء
في لحمة الروح وزحمة الريح
وفي خجل النجمة الزرقاء



يا شعراء اللغة ـ الهدم
اتحدوا معي في الصوم
عن القول الرديء
عن الفعل القميء
اتحدوا معي في لوي عنق النظم
في تعطير الفهم
بتوابل الوجدان وابخرة الباحثين
عن الكنز والجن

وبخت الدهر والعام واليوم

يا شعراء اللغة ـ اليوم
اتحدوا معي في العوم
على صفحة مياه الممكن
في سبر أسرار المحار
في تثبيت حروف المد والجر والجزر
في الحد ما بين الملح والسكر
في عنفوان القرش
وفي تهليل الطفل بالمار

اتحدوا معي في اللفظ المتناسب مع اللفظ ، في اللفظ المتصالب مع اللفظ ، في اللفظ المتعارض مع اللفظ ، في اللفظ المتعاشق مع اللفظ ، في اللفظ المتنافر مع اللفظ ، في اللفظ المتعالي على اللفظ ، في اللفظ المتواطيء مع اللفظ ... في اللفظ الرقيق والرصين

وفي اللفظ النشاز والفظّ ... في اللفظ المستخلص من فونيم الحظ وليس من لعاب الحفظ ...

يا شعراء اللغة ـ النوم
اتحدوا معي في السير على ايقاع هذا الكون ،

في إنتشاره ، في تجدد اخباره ، في تقلبه في تصلبه ، في نموه واحتضاره ، في كثافته واختلاله ، في التماعه وانكداره ، في مغنطسيه ، في طيسه ، في تحوله وتحلله ، في سكونه وانفجاره ، في احتواء اوقاته ، في ترويض انفلاته ، في التقاط انفاسه ، في رصد مفاتنه واعتناق مقاصده وهضم التباسه ،

اتحدوا معي

في ابتهاجي
حين اخلص الليمونة من شمسها والقي بقشرتها في النهر
حين انضّد الرسائل والاغطية لكي اصعد طبقات النعاس
حين اتلقّى بالصدر اشعة ما فوق المحبة
حين احلم بخلط قصائد الشعر باكياس القمح والرز
حين اصوب قلمي مسدسا في وجه الفراغ القاتل
حين اخط بين وجه الرضيع المبتسم وكعكة معجون المشمش
حين امضغ لحنا لكي تستسيغه احشائي
حين ارتمي في الماء فاستحضر أمي والهلع
حين يصلني خبر سار ولا أصل إلى تصديقه
حين أنفصل عن الجموع لأتابع هديرها نحو التلاشي في مصبِّ السّكون
حين أشعل غليوني لكي أربط حكمة الدراويش بالحنين إلى الحلمة
حين أضغط عن زرّ الكاميرا لأستقطع من الزمن شريحة
للنستالجيا



اتحدوا معي

في التوفيق والتفريق بين النار والرئتين، بين كل السواحل والوداع، بين ضحايا الصدفة العمياء والنصوص، بين جليد القطب واستقلالية «الباسك»، بين السرطان ورزنامة العام الجديد، بين المواعيد زهشاشة الآخرين، بين الهند ومسح مساحيق النساء، بين المساء ويقظة القطّ، بين مقام العجم وأعلام الدول، بين القُبل وطوابع البريد، بين المدن وهجرة الطيور، بين

القبور، ومشاريع الارامل، بين أنفاسي وباريس، بين رغبتكم في الشعر وفوائد حرب الخليج، بين رغبتي في النشيج وسطوة الالكترون، بين جزائر الدماء ووداعة أسماءكم، بين سجائر استلهامكم، ولقمة عيش الصوماليين، بين جديد ما تعلمون، وقديم ما لا تعلمون.

يا شعراء
تفرقوا مثل الاشعة
وليلتحق كل واحد منكم
بكوكب او نجم
فتزدان رغبتكم التماعا بكم
لا تتقيدوا الا بما يحرركم
من هذا الكلام ومني
ومن اللغة ـ اللغو
ويلقي بكم في اللغة ـ اللغم
يا شعراء اتحدوا ...



*اختير هذا النص من المجموعة الشعرية لمحمد الرفرافي زبد البحور*
*(منشورات لارماتان الصادر بباريس 1996)*

# في ذكرى ابن قتيبة

شاعر يكتب بدم الريح نبض الفصول
يلبس البرق محتفلا
ويولد الأرض غابات وأنهارا
وشاعر
يمشي ملتويا زاحفا كالقثاء
يرتقي من الخساسة سلاليم في الهواء

شاعر يستضيء بالحلم المتوهج
يستحم كالورد بفيض الندى
ويزيد الليل بهاء على بهاء
وشاعر
يحاكي ذيل الناقة
كالبوق يرجع الصدى
يفوق الظلمة مديحا وهجاء

طاهر البكري

شاعر كالنورس يرتاد البحار
منتشيا
أمواجه تسمع الأشرعة رهبة الماء
وشاعر
يتقهقر مقنعا مرتعدا
يعتصم بسطح السطور
كالزبد يذهب جفاء



شاعر يحمل بين الأقمار
براقا في جرابه وعنقاء
يطير على ظهر المجن منشغفا
وشاعر
رتيب يدب كالسلحفاة
آفاقه إن أفاقت من الإجترار
عشب فعشب فحصباء
شاعر يذبح في البلد الشقيق
كالخروف بهتانا

باسم الدين هبة وهباء
وشاعر
نرجسي بدون مرآة
سجين الكلمات
كالطبل تفخيما بدون حياء

شاعر قلبه يسع الأرض والسماء
يحب ارتحال الطيور
ويبني من المتاهات ألف لقاء
وشاعر
يضيق من شاعر آخر
يتسلل منكسفا
كالظل إلتباسا ورياء

شاعر كالنهر يعمّ البشر والشجر
ثمـــرا
وإثـــراء
وشاعــــر
حبره تراب كئيب
لقبر الجمال
رثيث الرثاء

شاعر يتحدى القصيد جريحا
يحرر من الإذعان
بيتـــا مـــا

وشاعــــر
دعائي يصطبغ بلون المقصلة
حريص على الربح
يميل مع النعماء

شاعر « يرعى النجوم »
ويحتدم كالزرع افتتانا
أقحوانه إكسير الحروف
وشاعــــر
يأكل الأزهار مزهوا
يكتسح مملكة الشعر ويكتتب
صفائحه غبار وبكاء

شاعر ينحت من اللغة
جسدا سهلا ممتنعا
ويصنع من الأفعال كيمياء
وشويعيــــــر
يكسر من الجعجعة
الحائط المسيك صداعا
في سوق المخبرين رسول الأنبياء
شاعــــــر ...
وشاعــــــــر ...

# قصيدتان

## سعاد

سلام على الشعر يوم العروجْ
ويوم النزولْ
سلام على الشعر يوم الرحيل
ويوم المعادْ
فلا، لن تموت البروجْ
ولا، لن تغيب سعادْ

ولدتُ زمان انبعاث القوافي
زمان انفجار الكلام وحرية الحس والاعتقادْ
وفي كل فجر وكل اصيلْ
لديَّ سيولْ
وألف محيط وألف خليجْ



للشاعر: عبد اللطيف الزبيدي

أنا الشعر ، هيا وزفوا سعادْ
أنا النغم المستحيل النهايهْ
سماء لحون وبحر نشيدْ
مجرّةُ ناي ، مجرة عودْ

فأين الكؤوس وأين السكارى ؟
وأين المجانين ، أين العذارى ؟
وأين الصدور وأين الخصور ؟
أزيحوا الستارا
فهذي سعادْ
تزيح الخمارا
طبول ... طبولْ
إلى اللانهايهْ
فهزوا القلوب بقرع الرعودْ
وهاتوا مصابيح غمازة كالبروقْ
وزفوا إلى الأفق بنت الشروقْ
وخلوا الطريقْ

فهذي سعادْ
تعودْ

ازيحوا الطريقْ
ازيحوا الأفقْ
ازيحوا الزمانْ
ازيحوا الفصولْ

ازيحوا الربيع ازيحوا الخريفْ
هنا سدرة الشعر فوق المكانْ
فهزوا إليكم بجذع الحروفْ
فعولن فعولْ
ودقوا الطبولْ
فعولن فعولْ
وهزوا وهزوا
تساقط عليكم بخورا وعودْ
ألا سدرة الشعر تهوى الدفوف
وتهوى سعادْ

أزيحوا الستارا
فهذي سعاد تعلّق ثوب الدجى
وتختار شمس النهار إزارا .

# سمفونية الغد

## 1

رضى
رضى
حرائر الرضى
ومخمل الرضى
حرائر في خاطري
ومخمل في ناظري
فما سيأتي دائما أحلى من الذي مضى
رضى
رضى



يا للرؤى تزلجت
على الحرائرِ
يا للحون التحفت
بمخمل المشاعرِ
يعود لحني دائما لغابر الغوابرِ
يعيد ما انقضى

من حاضري
من حاضري
يعيد ما انقضى
رضى
رضى

## 2

أحنُّ الى الآتي
أطير إلى ذاتي
كأنّني غريبْ
لأنفخ في قلب الدجى روح ناياتي
فمنه الشروق القريبْ ...
أحن إلى لآتي
أطير لمرآتي
أشم الغيوبْ
فتعبق من روح الورى غيد غاياتي
تجُنُّ الطيوبْ
تعالوا معي فالدرب أحلى من الشهد
تعـــالوا
حرام كهذا اللحن أعْـزفه وحدي



## 3

عَجِّــلْ ... عَـجِّـلْ
لا وقت لتــتـّـئـدا
فالأفقُ بدا
اجملْ

والفجر غدا
سندا

مددا
عَجِّلْ
عَجِّلْ
أيقظ من حولك من رقدا
إرفسه وصبَّ عليه ماء قد جمدا
في وجه اليائس اصرخ : إنَّ غدا...
عَجِّلْ
عَجِّلْ
فأمامك ألف مدى
لا تخش الدرب سأحدو القوم بألف صدى
فاذا ما صحتُ بهم : لا وقت لننشدا
صاحت أصدائي داداداداداادا ...



4

إعزفْ أبدا ولا تساوم ابدا
فالقلب رضى
والفجر بدا
إنّا سنزيد كل يوم عددا
فالأبحر صهوة
والأرض بخطوه
لن يذهب يومنا، كما كان سدى
فالقلب رضى
والليل مضى

لن نقتل لحظة لدينا عرضا
ابداعك عُـمَـرُ
تجديدك عصر
اعجازك دهرُ
فالأفقُ بكفنا
والكون ببأسنا
إنّـا سنحيل كل صفر عددا.

## اصدارات



# اصداء

# ومتابعات

المسار عدد 32 و33 اكتوبر ١٩٩٦

# النشاط الثقافي لاتحاد الكتاب بالخارج

احتوى نشـاط اتحاد الكتاب التونسيين بـالخارج خلال هـذه السنة على شقين يتمثل الاول في الندوة التي انعقدت بتونس يومي 24 و25 ماي الماضي وذلك تحت عنوان «الادب التـونسي بالخارج وجسور التـواصل مع الوطن» التي افتتحهـا وزير الثقـافة الدكتـور عبد البـاقي الهرمـاسي واشرف عليها الاستاذ المنجي الشملي وتـولى تنسيقها الاستـاذ محمد مصمـولي اما الشق الثاني فتمثل في الايام الثقافية التونسية بفرنسا التي جرت فعاليتها ايـــام 13 ـ 14و15 جوان الماضي بباريس وذلك بالاشتراك مع التجمع الدستوري الديمقراطي وديوان التونسيين بالخارج .

واذ نتـولى نشر كل المداخلات والنقـاشـات التي تضمنتها النـدوة الاولى فاننا سنكتفي ههنـا بتسليط الاضواء على فعاليات الايام الثقافيـة التونسية

# مساهمة التاصيل
# والاشعاع
# وربط جسور التواصل
# مع الوطن

بفرنسا التي افتتحها الدكتور نور الدين الحفصي رئيس تجمع التونسيين بفرنسا وقدم اول مداخلة فيها الاستاذ فؤاد القرقوري تحت عنوان «الانجازات الثقافية لعهد التغيير» في حين قدم الدكتور محمد القاضي مداخلة تحت عنوان «الواقع الادبي التونسي وتحديات المستقبل» وتابع الاستاذ محمد مصمولي سلسلة المداخلات بتقديم ورقة علمية حول «اللغة والهوية» وعالجت الاستاذة نجاة بن صالح موضوع «مجلة حقوق الطفل بتونس» وتعرض الاستاذ الهاشمي بلوزة الى «اشكالية الاستثمار في القطاع الثقافي» بينما تولى الاستاذ الميداني بن صالح معالجة اشكالية «الاندماج والخصوصية الوطنية».

ولم تكتف الايام الثقافية التونسية بفرنسا بالجانب الفكري والثقافي بل انها فتحت اشترعتها على مناخات الابداع الشعري وذلك بتنظيم سهرات

شعرية شارك فيها الشعراء الميداني بن صالح - جميلة الماجري - الهاشمي بلوزة - عثمان الشريف الجلاصي - خير الدين الشابي .

كما تم على هامش هذه الايام تنظيم معرض للكتاب خاص بالاطفال والكهول اشتمل على الف كتاب ما عدا المجلات من اهداء اتحاد الكتاب التونسيين لمكتبة دار التجمع بباريس ، كما اشتملت هذه الايام على سهرة فنية غنائية لفرقة تونسية بباريس واذ تضمنت هذه الايام ابوابا ثلاثة فتحت مجراها للفكر والابداع والكتاب والفن فان منابر الحوار التي جرت بفضاء بوتزاريس ساهمت في إعطاء صورة واضحة عن واقعنا الثقافي الوطني في مجالات عديدة وبالتالي فقد حققت الايام اهدافها واسهمت في تفعيل العمل الثقافي التونسي بالخارج مع ايلاء العناية الفائقة للمبدعين والمثقفين التونسيين المهاجرين وربطت معهم جسور التواصل مع الوطن .

وقد كان لهذه الايام الثقافية اصداء طيبة لدى المهاجرين التونسيين على اختلاف اهتماماتهم ومهنهم من عمال ومثقفين وطلبة حيث طالبوا بضرورة ارساء تقاليد من هذا القبيل ومزيد مد الجسور بين اتحاد الكتاب التونسيين ومواطنينا بالخارج .

كما تنزل هذا النشاط المتميز في اطار مساهمة اتحاد الكتاب التونسيين في برنامج تونس عاصمة للثقافة خلال كامل سنة 1997 اذ تولى الدكتور عبد الباقي الهرماسي وزير الثقافة اختتام فعاليات هذه الايام الثقافية.

ودعما لنشاط اتحاد الكتاب التونسيين بالخارج وتكريسا لاتفاقيات التبادل الثقافي بين الاتحاد ونظرائه من الاتحادات والرابطات العربية الاخرى ، فان المجهود مازال متواصلا وذلك تاصيلا للثقافة الوطنية التونسية والعمل على مزيد اشعاعها وتفاعلها مع بقية الثقافات والشعوب . وفي هذا الاطار يستعد اتحاد الكتاب للمشاركة في فعاليات ثقافية ستجري

بكل من الاردن وسوريا وذلك من خلال تشريك عديد الخبرات الابداعية المشعة وطنيا وعربيا في مثل هذه التظاهرات وذلك عبر ارسال وفدين خلال الايام القليلة القادمة الى كل من الاردن وسوريا .

ويبقى رهان اتحاد الكتاب التونسيين ، لما يجده من دعم من قبل سيادة رئيس الجمهورية زين العابدين بن علي ورعاية موصولة من لدنه لرجال الثقافة والابداع ، في ايجاد الصيغ الكفيلة لمزيد اشعاع ثقافتنا الوطنية ومزيد التعريف بتراثنا التاريخي والحضاري الضارب بماضيه وامجاده في القدم خاصة وان الرهانات والتحديات التي تفرضها الشراكة والعولمة لا تقتصر فقط على القطاعات الصناعية والتجارية والخدماتية بل وكذلك على الابعاد الفكرية والثقافية والفنية التي من الواجب المحافظة على خصوصياتها وتعميقها مع العمل على اثرائها عبر التثاقف والحوار والتفاعل مع الثقافات الاخرى .

# برنامج الايام الثقافية

## الجمعة 13 جوان 1997 :

* الساعة الخامسة مساء : الافتتاح :

بمقر لجنة تنسيق التجمع بباريس وبإشراف سعـــادة سفير الجمهورية التونسية بباريس **الدكتور المنجي بوسنينة.**

ـ تدشيـــــن معرض كتـاب الطفل ومعرض منشـورات اتحاد الكتاب واعضائه.

ـ كلمـة الترحيب للدكـتور نـور الدين الحفصي كاتب عـام لجنة تنسيق بباريس.

ـ كلمة الافتتاح.

* الساعة التاسعة ليلا : بقاعة بلدية الدائرة 19



* عشاء

* سهرة شعرية بمشاركة الشعراء : الميداني بن صالح، جميلة الماجري، الهاشمي بلوزة، عثمان الشريف الجلاصي، خير الدين الشابي، الطيب شلبي.

## السبت 14 جوان 1997 :

* الساعة 11 صباحا : الجلسة الاولى : :

بمقر لجنة تنسيق التجمع بباريس وبرئاسة الاستـاذ الميداني بن صالح

# التونسية بفرنسا

**محاضرات حول :**

- المنجزات الثقافية في عهد التغيير (فؤاد القرقوري)
- الواقع الأدبي التونسي وتحديات المستقبل (محمد القاضي)
- أي إشعاع للمبدع التونسي في الخارج؟ (جميلة الماجري)

* **نقاش**

## الأحد 15 جوان 1997 :

* **الساعة 11 صباحا : الجلسة الثانية :**

بمقر لجنة تنسيق التجمع وبرئاسة الاستاذ فؤاد القرقوري



* **منبر حوار حول :**

- اللغة والهوية (محمد مصمولي)
- مجلة حقوق الطفل (نجاة بن صالح)
- الاستثمار في القطاع الثقافي (الهاشمي بلوزة)
- الاندماج والخصوصية الوطنية (الميداني بن صالح)

**نقاش :**

* **الساعة الثانية بعد الظهر : الاختتام .**

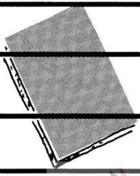
بإشراف السيد وزير الثقافة الدكتور عبد الباقي الهرماسي.

# الايام الثقافية بفرنسا ..
# بادرة اخرى
# في تفعيل اشعاع تونس
# بالخارج



بقلم : ملاك ميم

بالتعاون مع التجمع الدستوري الديمقراطي ، وبدعم من ديوان التونسيين بالخارج ، بادر اتحاد الكتاب التونسيين بتنظيم «الايام الثقافية بفرنسا» في 13 ، 14 ، و 15 جوان 1997 ، وذلك كامتداد للندوة التي التأمت بتونس يومي 24 و 25 ماي 1997 ، تحت عنوان «الادب التونسي بالخارج وجسور التواصل مع الوطن» ، وكامتداد ، من جهة اخرى ، لمساهمة الإتحاد في حدث 1997 المتمثل في تتويج منظمة اليونسكو لتونس «عاصمة ثقافية» ...



اشتملت الجلسة الافتتاحية لفعاليات (الايـام الثقافية بفرنسا) على ثلاث كلمات نزّلت الحدث في اطاره ، وكانت هذه الكلمات مـن تقديم : الدكتور نور الديـن الحفصي ، كاتب عـام لجنة تنسيق التجمع ببـاريس ، والدكتـور فؤاد القرقوري ممثل الامـانة العامة للتجمع الدستوري الـديمقراطي ، والاستاذ الميداني بن صالح رئيس اتحاد الكتاب التونسيين ..



اما القاسـم المشترك بين هذه المداخلات فلقد تمثل في التـاكيد على اندراج هذه الندوة في ديناميكية التواصل الثقافي بين المهاجرين وثقافة عهد التغيير

* * * *

## الأمسية الشعرية

وفي مساء اليـوم الاول من التظاهرة ، كـانت المصافحـة للجمهور الغفير

بقصائد من شعراء الفصحى والعامية بالوطن وبالمهجر ، تغنى اغلبها بتونس الجميلة وبالمنابع الصافية للإنتماء .

ومن بين الشعراء المشاركين : الميداني بن صالح ، خير الدين الشابي ، عثمان الجلاصي ، محمد الرفراني ، الهداجي السيد ، محمد الهاشمي بلوزة ، وعبد العزيز مصدق

اما الشاعرة جميلة الماجري التي كان من المفروض ان تشارك في الامسية فلقد تغيبت لاسباب قاهرة الامر الذي جعل الاطار المشرف على التظاهرة يتيح لها فرصة اخرى للشعر في اليوم الثاني خارج الامسية الشعرية

* * * *

## الجلسة العلمية الأولى

انعقدت الجلسة العلمية الأولى بمقر تجمع التونسيين بفرنسا، الكائن في نهج بوتزاريس بباريس وترأسها الشاعر الميداني بن صالح الذي أدار النقاش حول المداخلات المقررة في البرنامج :

ـ مداخلة الدكتور فؤاد القرقوري، بعنوان :

**«المنجزات الثقافية في عهد التغيير»**

ـ مداخلة الدكتور محمد القاضي، بعنوان :

**«الواقع الأدبي التونسي وتحديات المستقبل»**

ـ مداخلة الشاعرة جميلة الماجري، بعنوان :

**«أيّ إشعاع للمبدع التونسي في الخارج» ؟**

■ وفي مداخلته حول **«المنجزات الثقافية في عهد التغيير»** أبرز الدكتور

القرقوري الأسس الفكرية للخيارات الثقافية في تونس التغيير، وبيّن أن الفعل الثقافي أصبح يتنزل في إطار حقوق الإنسان باعتبار احترام حق المبدع في الابداع، وحق المفكر في التفكير، وحق المواطن في التمتع بكل ألوان الانتاج الثقافي.

وتناول المحاضر، في الباب الثاني في مداخلته، خصائص الحياة الثقافية في تونس العهد الجديد، محللا شموليتها في مختلف تجلياتها : فعلى الصعيد الجغرافي لم تعد الثقافة حكرا لجهة دون أخرى، أو حكرا على فئة دون غيرها.. أما على صعيد الانتشار فإن الثقافة لم تعد منحصرة في الفضاءات التقليدية وانما تجاوزتها إلى المؤسسات التربوية والجامعية وإلى المؤسسات الاقتصادية وحتى إلى السجون ومناطق الظل..

ومن تجليات هذه النقلة في البعد المفهومي للثقافة، في عهد التغيير بتونس، ـ كما بيّن ذلك المحاضر ـ أن الفعل الثقافي قد بات مطالبا بأن يكون من انتاج المجتمع، عبر مختلف مؤسساته المدنية، وليس من انتاج الدولة وحدها. ضرورة ان الدور المناط بعهدة هذه الاخيرة ليس الانتاج وانما توفير شروط الازدهار والتألق.

* * * *

■ وفي المداخلة الثانية المقررة من برنامج هذه الجلسة العلمية الأولى، تحت عنوان : «**الواقع الأدبي التونسي وتحديات المستقبل**»، أكد الدكتور محمد القاضي على حقيقة مفادها أن المبدع في مجال الأدب يعنى بالماضي وبالحاضر أكثر من اعتنائه بالمستقبل وذلك باعتبار أن الأدب يندرج حتما في

سياق حضاري، لكن عملية الكتابة، وهي تتحرك على أفق الراهن والتذكر، هي قول في مستوى الفعل، وبهذا يكون جوهر كل أدب هو الدفع بالقارىء إلى الإقرار برؤية ثم إلى التبني لموقف لـه تطلع إلى المستقبل، بشكل أو بآخر، علما بأن الأدب تعبير عن مسيرة الإنسان، وهو مصنع للمثل العليا ومتنفس للبشرية في رحلة العجز والقهر، وتعبير عن الطاقات الكامنة، ورفض للقبح والزيف، وتوق إلى الأفضل.

أما عن الأدب التونسي، في كل هذا، فإن الدكتور القاضي يلاحظ أنه تجاوز مرحلة التحسس وأصبح على درجة من النمو تتجلى في تجارب تضاهي غيرها من التجارب العربية والاوربية... ومن أبرز ملامح هذا الادب في تفاعله مع تحديات المستقبل يذكر المحاضر ما يلي:

- ازدهار الفن الروائي (كما يحدث في آداب الشعوب الاخرى)
- ازدهار قصيدة النثر (سعيا إلى كسر المألوف)
- ازدهار الأدب النسائي...



* * * *

■ أما مداخلة الشاعرة جميلة الماجري التي كان من المفروض أن تقدم في هذه الجلسة العلمية الأولى من اليوم الثاني فانها قد أجلت بسبب الازمة القلبية التي انتابت الدكتور محمد القاضي وهو على المنصة أثناء القائه لمحاضرته القيمة، الامر الذي اوجب رفع الجلسة وحمل المحاضر الكريم الى أحد المستشفيات الباريسية لمزيد الاطمئنان على صحته... بعد الفحوص الأولية التي قام بها الدكتور نور الدين الحفصي الطبيب والكاتب العام للجنة

التنسيق بدار التجمع بفرنسا.

* * * *

## الجلسة العلمية الثانية :

ترأس الجلسة العلمية الثانية الدكتور فؤاد القرقوري واشتملت على منابر للحوار بمشاركة الاساتذة :

- محمد مصمولي حول «اللغة والهوية»
- نجاة بن صالح حول «مجلة حقوق الطفل»
- محمد الهاشمي بلوزة حول «الاستثمار في القطاع الثقافي»
- الميداني بن صالح حول «الاندماج والخصوصية الوطنية».

لكن ونظرا لعدم تمكن الشاعرة جميلة الماجري من القاء مداخلتها المقررة في اللجسة العلمية الأولى، فان مقتضى الحال أوجب فسح المجال أمامها في مستهل هذه الجلسة العلمية الثانية، تحت عنوان : «أي إشعاع للمبدع التونسي بالخارج»؟ فطرحت الاستاذة الماجري عدة تساؤلات تتعلق بما يلي :

- الراهن العالمي وهيمنة المادة والاعلام
- كيف تستطيع الثقافة أن تتجاوز الحدود لتلامس أمما أخرى

- وأوصت المحاضرة بضرورة الاهتمام بمسالك تصدير المنتوج الثقافي كما هو الشأن بالنسبة إلى المنتوج الإقتصادي لأن العلاقة بينهما متداخلة، كما أوصت بضرورة أن يستفيد القطاع الثقافي من خطة التأهيل الشامل...

* * * *

■ وفي مداخلته حول «اللغة والهوية» بيّن الأستاذ محمد مصمولي علاقة التكامل بين البعد المفهومي للغة وللهوية، وما شهدته الكلمتان من دفع ديناميكي، ومن مصالحة بينهما، في عهد تونس التغيير على وجه الخصوص، حيث ردّ الاعتبار إلى الذاتية العربية الاسلامية، كما لم يحدث ذلك بنفس المستوى والوضوح في أي عهد سابق، مع ربط هذا الانتماء بالجذور وبقيم الحرية وبحقوق الانسان وبالحداثة وباحترام الرأي المخالف وبتحاور الحضارات والثقافات وذلك وفقا لطبيعة النسق الحضاري التونسي العريق المتسم بالتسامح والاعتدال وبقبول الآخر في غير ترادف معه أو تبعية له، وانما في حدود التواصل والاضافة...

كما بيّن الاستاذ محمد مصمولي، في الشق الثاني من مداخلته، شمولية وطرافة التجربة التونسية في مجال تأصيل المهاجر في لغة الوطن وهويته الحضارية، مع إبراز المراحل التي شهدتها هذه التجربة لا سيما منذ تحول السابع من نوفمبر، وبحرص مباشر ومتواصل من رجل التغيير، الرئيس زين العابدين بن علي الذي أزال كل الحدود الفاصلة بين المجتمع التونسي وجالياته المقيمة بالخارج، واتخذ من الاجراءات، وأصدر من التوصيات والتشريعات لفائدة أبناء الوطن بالمهجر ما لا يحصى عدا وكما، اضافة إلى التشجيعات والحوافز والمرافق والانجازات النوعية التي جعلت من استراتيجية تونس العهد الجديد في الاحاطة بلغة المهاجر وبهويته وبتواصله مع الوطن استراتيجية نموذجية وفريدة من نوعها... بالمقارنة مع سياسات دول العالم الثالث تجاه مهاجريها.. بالخارج

* * * *

■ وعلى إثر مداخلة الاستاذ المصمولي تلته على المنصة الاستاذة نجاة بن صالح (ممثلة وزارة العدل في هذه التظاهرة) فقدمت بيانات حول مجلة حقوق الطفل، مشيرة الى أنها تعدّ بحق مفخرة من مفاخرة العهد الجديد، علما بأن تونس هي إحدى الخمس دول في العالم التي لها مثل هذه المجلة، ضرورة أن حقوق الطفل جزء أساسي لا يتجزأ من حقوق الانسان، وأن تونس العهد الجديد هي بلد حقوق الإنسان، من الباب الكبير.

·كما بيّنت الاستاذة القاضية نجاة بن صالح أن مجلة حقوق الطفل تندرج في إطار التشريع الخاص بحماية الأسرة من كل تفكك أو تشتت، ضمانا لمناخ أسري سليم لتنشئة الطفل الذي هو مواطن الغد وصانعه. فالمجلة لها أبعاد اجتماعية، تربوية، وقائية، واصلاحية، وأن المرجو من الجميع إلى جانب الاعتزاز بهذه المجلة، هو المزيد من نشر ثقافة حقوق الطفل.

* * * *

■ وفي مداخلته بيّن الاستاذ الهاشمي بلوزة أن الاستثمار في القطاع الثقافي أصبح ينخرط في استراتيجية جديدة تستجيب لشروع متكامل ومحكم الصياغة، وأن النظرة الشمولية التي تتسم بها مجلة قانون الاستثمار في القطاع الثقافي هي نظرة قوامها النهوض بهذا القطاع، وتوفير أسباب ازدهاره، بما يساعد مؤسسات المجتمع المدني على أن تصبح المنتج الأساسي للثقافة...

كما بيّن الاستاذ بلوزة أن المستثمر في القطاع الثقافي قد أصبح

بمقتضى المجلة المشار اليها يتمتع بكل ضمانات النجاح وتحقيق الربح، شأنه في ذلك شأن أي مستثمر في أي قطاع تجاري أو اقتصادي آخر... وذلك نتيجة توفر كل التشجيعات الممكنة والامتيازات المغرية.

* * * *

■ أما محور النقاش المتعلق بموضوع : «الاندماج والخصوصية» فلقد كان من نصيب الشاعر الميداني بن صالح رئيس اتحاد الكتاب التونسيين فاختزل مداخلته الطريفة في طائفة من التساؤلات التي من بينها :

ـ هل ان مفهوم الهوية مفهوم سكوني لا يخضع لحركة التاريخ؟ أم إنه مفهوم ديناميكي حي ؟

ـ أي شراكة ممكنة بمعزل عن احترام الآخر «للأنا» أو لهويات الاقليات وحقوقها المكتسبة اقتصاديا واجتماعيا والاعتراف بخصائصها ومميزاتها الثقافية طبقا لاتفاقيات التعاون الثنائية وما نصت عليه وأقرته المواثيق الدولية ؟ .



* * * *

## السيد وزير الثقافة يختتم الأيام الثقافية بفرنسا

■ وعند إشرافه على اختتام تظاهرة «الأيام الثقافية بفرنسا» أشار الدكتور عبد الباقي الهرماسي وزير الثقافة، بالخصوص، إلى ما يلي :

ـ أهمية المكانة التي أصبح يتمتع بها الأدباء والمثقفون في تونس العهد

الجديد، وما يحظون به من دعم مادي وأدبي ساعد على تحقيقه مناخ الإستقرار والأمن في بلادنا...

ـ كما بيّن أن من ثمرات العهد الجديد غياب التهميش والإقصاء. فتونس اليوم تصغي إلى كل أبنائها مهما اختلفت آراؤهم وتنوعت.

ـ الإحاطة بالجالية تتبوّأ في العهد الجديد منزلة الصدارة في الخيارات الأساسية لصانع العهد الجديد، وهذا ما يتجلى بوضوح وإشراق في كل المبادرات والإجراءات العديدة في جميع المجالات.

وفي تحليله لأبعاد ثقافة التغيير، أشار الدكتور عبد الباقي الهرماسي وزير الثقافة إلى أن هذه الثقافة تواكب تطورات العصر، وتستوعب عطاءات الفكر الإنساني، وتطرح نفسها سندا للتنمية الإقتصادية والإجتماعية، وذلك ضمانا للنمو المتوازن، ودعما لمقومات الهوية...

وفي هذا السياق فإن المطلوب هو تحسين مستوى الأداء الثقافي بتأهيل القطاع الذي ينتسب اليه هذا الأخير، وهو أمر يقتضي انخراط المؤسسات الخاصة في التمويل والإستثمار للتخفيف على الدولة لا سيما أن التشجيعات والحوافز والتشريعات متوفرة بعد صدور المجلة الموحدة للإستثمار.

أما عن السنة الثقافية فإن السيد الوزير لاحظ أن النية متجهة إلى جعل تونس قطبا ثقافيا متميزا، باستمرار، وأن للمبدع المهاجر دورا في هذا المجال يتمثل في تبليغ صورة الوطن الناصعة إلى الخارج وفي دعم جسور التواصل بين ثقافته الوطنية والثقافات الأخرى...

* * * *

هذه فكرة موجزة وتكاد تكون برقية حول **«الأيام الثقافية بفرنسا»** التي حضر افتتاحها إلى جانب الدكتور نور الدين الحفصي السيد أحمد شاطر القنصل العام لتونس بباريس، والسيد سعيد قنبرة ممثل الجالية التونسية بمجلس النواب، وجانب وافر من الإطارات والكفاءات والمبدعين، كما حضر اختتامها إلى جانب الدكتور عبد الباقي الهرماسي وزير الثقافة الأستاذ المنجي بوسنينة سفير تونس بفرنسا...

والجدير بالذكر هو أن هذه التظاهرة الناجحة التي تركت بالخارج أجمل الانطباعات هي الأولى من نوعها في مجال العمل المشترك بين اتحاد الكتاب التونسيين، كمنظمة وطنية ثقافية مستقلة، والتجمع الدستوري الديمقراطي، باعتباره حزب الأغلبية المؤتمن على التغيير، كما أن هذه التظاهرة هي الأولى من نوعها من حيث تجاوز اتحاد الكتاب التونسيين لنشاطه بأرض الوطن إلى خارج الحدود، تفعيلا لإشعاع تونس الثقافي بالخارج...



ولئن شكلت **«الأيام الثقافية بفرنسا»** إطلالة أولى من اتحاد الكتاب التونسيين على المحيط الحضاري الأوربي، بواسطة تظاهرة كبرى، فإن هذه الإطلالة الأولى سوف تتلوها، في هذه السنة الثقافية، إطلالة ثانية وذلك عن طريق ندوة **«تونس والحوار الثقافي والحضاري»**، الأمر الذي يعكس، بحق النقلة النوعية التي شهدها نشاط الاتحاد، في دورته الراهنة، من حيث لا مركزية حضوره الثقافي في كافة ولايات الجمهورية وحتى خارجها.

# كلمة السيد وزير الثقافة
# الدكتور عبد الباقي الهرماسي
# في
# إختتام أشغال الأيام الثقافية
# التونسية بفرنسا



## يوم الاحد 16 جوان 1997

إن المكانـة التي يحظى بها الكتـاب والمبدعون في تـونس اليوم لهي خير حـافز لهم لمزيـد البذل والعطـاء في مجالات الإبداع الـرحبة، خاصـة وأن ما ينعمون بـه من دعم مادي وأدبي من الـدولـة في منـاخ يتميّـز بـالإستقـرار والأمن والحرية لا يتوفر بنفس القدر في عديد البلدان الأخرى.

إن ذلك كله من ثمرات العهد الجديـد، ومميزاته والثوابت التي تأسس عليها فكر التغيير، فتونس اليوم تصغي إلى كل أبنـائها مهما تنـاءت بهم المسـافات، واختلفت مشـاربهم، وتشابكت آراؤهم وأفكارهم. إذ أن تشريك المواطنين من كل شرائح المجتمع في صياغة حاضر البـلاد ومستقبلها قد غدا من التقـاليـد الراسخـة في بـلادنا منـذ تحول السـابع من نوفمبر. حيث لم يعد هناك مجال للإقصاء، أو التهميش.

إن بلادنا تحتفي بنخبها، توفر لهم المناخ المناسب لتفجير طـاقاتهم الإبـداعية، وتـدعم نشاطـاتهم ماديـا ومعنويـا، وتحفـز هممهم إلى مـزيـد العطـاء والتألق، وتفتح أمـامهم أبــواب النجــاح على إدمــاجهم في الــدورة الإجتماعيــة والإقتصــادية، وتعـوّل على إسهامـاتهم الفاعلـة في حركـة التنمية الشاملة التي تشهدها على كل الأصعدة.

إن الإحاطة الشاملة بالجالية التونسية بالخارج والمتابعة المستمرة لأوضـاعها تعتبر من الخيارات الأساسيـة للعهد الجديد ومن ثـوابت السياسة الرائدة التي أرسـاها سيادة الرئيس زين العـابدين بن علي الذي يـولي عناية موصـولة ورعايـة خاصـة لهذه الشريحة المهمة من التـونسيين، وقد تجسم هذا الحرص من خلال المبادرات والإجراءات العديدة التي أذن بها سيادتـه وشملت جميع المجالات، ومـن أهمها قراره إحداث يوم وطني للتونسيين بالخارج يكون مناسبة للإحتفاء بهم، وتكريم النـاجحين منهم ومزيد التعرف على مشـاغلهم وتمتين صلتهم بأرض الوطن. وقـد أكد صـانع التغيير هـذا التوجـه بقولـه : «**إن إهتمامنا بـالتونسيين المقيمين بالخارج جزء لا يتجزأ من سيـاستنا الوطنية، فهم سفـراء مجتمعنـا وحضارتنـا في بلـدان إقـامتهم، تصـون روابطهم بـوطنهم وتحفظ مقومـات شخصيتهم**».

إن رد الاعتبار للجاليـة التونسية بالخارج قـد تدعم منذ فجر التحـول بالعنـاية بكتـابنا ومبـدعينا المقيمين خـارج الوطن، ومـا تحويل ديوان العمال التـونسيين بالخارج إلى

ديوان التونسيين بالخارج إلا دليل على الأهمية التي ما انفك يوليها نظام العهد الجديد إلى نخب المفكرين والمبدعين والعلماء ورجال الأعمال العاملين خارج البلاد.

لقد دأبت وزارة الثقافة على تنظيم لقاءات وتظاهرات عديدة بتونس وفي بلاد المهجر تشارك فيها هذه النخبة من التونسيين المهاجرين، ومنها مهرجان المبدعين التونسيين بالخارج الذي شهد إلى حد اليوم ثلاث دورات، والتظاهرات التونسية بفرنسا. ولعل من آخر ثمار هذه الحركية إنشاء فرع إتحاد الكتاب التونسيين بباريس الذي يضم ثلة من كتابنا المقيمين بفرنسا.

هذا النشاط وهذه الحيوية اللذين تشهدهما الحركة الثقافية والأدبية التونسية في الخارج هي جزء من مشروع حضاري كبير، تسعى بلادنا من خلاله إلى ضمان اندراجها في مسيرة الانسانية بأدوات الإضافة.

لقد ارتقت الثقافة في عهد التغيير إلى مرحلة الشمولية في أشكالها ومضامينها، وغدت وعاء للفكر الحر والابداع الثري، ومفاعلا هاما في مسار التنمية، وجاءت الاختيارات الجوهرية للسياسة الثقافية ترجمة لمضمون بيان السابع

من نـوفمبر ، وتطبيقـا للقـرارات والاجـراءات الـرئاسيـة المتعددة، فتبوأت الثقـافة موقعها كقطـاع حيوي في مسيرة التنميـة، بل سنـدا فـاعـلا لها وأداة من أدوات التأسيس للمجتمع الحديث عبر تجسيم القيـم السـاميـة ومبـادىء الحريـة والـديمقراطيـة والتسـامح والتضـامن. في إطـار سيطـرة العقل المبتكـر والتحـديث الاصـلاحي المتـوازن، وتـرسيخ مقـومـات الانتماء، فثقافـة التغيير هي قـاطـرة التحـول المبشرة بقيمه والمجسمـة لأبعـاده. وهي في صلب العمليـة الاصـلاحيـة الشـاملـة، إذ الاصـلاح السيـاسي والاقتصادي والتربوي يرتكـز في جوهره على تلك المبادىء التي تتضمنها ثقـافة التغيير، لذلك يحق لنـا التأكيد على ان التغيير في أعمق أبعاده هو مشروع ثقافي بالأساس.

إننا في تـونس التغيير، نؤمن بأن نجـاح المجتمعات رهين قـدرتها على توظيف مـؤهلات النخب المثقفـة فيها وتنميـة إنتـاجاتها الإبـداعية وتأكيـد حضورهـا الفاعل وإيصـال صوتها الأصيل المميّـز، وإشاعة قيمها النبيلـة، خاصة وأن التحولات الكبرى التي شهـدها العـالم في السنوات الأخيرة جعلت من الثقافة الملاذ الوحيـد للشعوب النامية التي تروم

احتلال موقع لها على الساحة العالمية وإبراز ثرائها الثقافي.
ونحن بقدر ما نعتز بما يتضمنه رصيدنا الثقافي من ثراء حضاري، هو خلاصة إضافات متنوعة عبر تاريخنا الطويل، نسعى إلى أن تكون ثقافتنا، دوما نابضة خلقا وإبداعا وتجديدا، مواكبة لتطورات العصر، مستوعبة لعطاءات العقل البشري، في ذات الوقت الذي تكون فيه، كما أرادها لها ذلك الرئيس زين العابدين بن علي، سندا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، فنضمن بذلك النمو المتوازن الذي يوفق بين الرفاه الاقتصادي والاجتماعي وقوة مقومات الشخصية ودعم مكونات الهوية الوطنية.



## التمويــــل الثقافـــي

لقد أكدت التجارب التنموية الناجحة، أن الدولة لا يجب أن تتحمل كل الأعباء المالية الضرورية، لإدارة شؤون المجتمع، وتحقيق أهدافه، رغم أنها تظل المؤسسة الأساسية لتوفير ذلك، ويبقى الدور المكمل لهذا الجهد، من مشمولات المؤسسات الخاصة وأصحاب رأس المال، الذين من واجبهم

المساهمة الفاعلة في تخفيف الأعباء عن المجهود الوطني، واعطاء الدفع الإضافي اللازم لنسق التنمية. وإن بلادنا قد تقدمت في هذا الاتجاه خطوات هامة، فتم منذ التغيير، سنّ العديد من القوانين، ومراجعة النظام الجبائي والنقدي، وصدرت المجلة الموحدة للاستثمار، متضمنة لفصل خاص بحوافز الاستثمار في القطاع الثقافي، بالإضافة إلى عديد القوانين المتعلقة بالاعفاء الجبائي، وأقيمت الندوات التحسيسية، وخاصة ندوة «الاستثمار والتمويل الثقافي»، التي أمر بتنظيمها سيادة رئيس الجمهورية في شهر ماي الماضي وافتتحها السيد الوزير الاول، وتمّ بعث جائزة سنوية للتنشيط الثقافي في المؤسسات الاقتصادية، كما أن معاهدة الشراكة مع الاتحاد الأوروبي، ستوفر فرصا لتنويع أسواق منتوجنا الابداعي، مما سيجعل قطاعنا الثقافي مؤهلا لاستقطاب مصادر جديدة لتمويل المشاريع في هذا المجال.

ولا بد في هذا الإطار، من الإشارة إلى الوعي المتزايد لدى الخواص، بأهمية ما توفر لهم من حوافز، وأطر تشريعية ملائمة للاستثمار في القطاع الثقافي. وإن لم يبلغ حجم

الاستثمارات المنجزة أو في طور الانجاز، إلا ما قيمته 10 مليون د. فقط، فإن بعض المؤشرات تدعونا إلى مزيد مضاعفة الجهد، حيث تطور عدد شركات الإنتاج المسرحي والسينمائي، تطورا ملحوظا، كما تم ابرام العديد من عقود لزمة، تخص استغلال بعض المناطق الأثرية استغلالا ثقافيا، طبقا لكراس شروط يضمن المحافظة على خصوصية التراث، حسب التراتيب والقوانين الجاري بها العمل.

## دور المبدع المهاجر

إنّ دور المبدعين خارج الوطن أساسي وهام، إذ المبدع بالمهجر هو صوت بلاده وصورتها الناصعة، وإن أعماله هي جسور تواصل بينه وبين وطنه من جهة، وبين وطن التبني والوطن الأم من جهة أخرى، وإن من أهم أدوات نجاح المبدع المهاجر، تعلقه الشديد بوطنه وسعيه الدائم إلى إبراز خصوصياته وتلميع صورته، فلا إبداع ينبض صدقا إلا عبر تعلق متين بالوطن.

فالإبداع المهجري هو وسيلة من أهم وسائل تعميق الوعي والإدراك، والمساهمة في دفع مسيرة الإصلاح والتحديث والإرتقاء بركب الشعوب المتقدمة.

# مساهمات اتحاد الكتاب التونسيين



إن اختيار منظمة اليونسكو لبلادنا عاصمة ثقافية خلال سنة 1997 له عديد الدلالات لعل أهمها يتمثل فيما يلي :

* أرضية بلادنا الحضارية الضاربة في القدم منذ تأسيس قرطاج سنة 814 ق . م، مرورا بمدن القيروان والمهدية وتونس ودورها الحضاري فعلا وتفاعلا مع الضفاف الشمالية للبحر المتوسط وجنوب الصحراء وعموما على الساحة المغاربية والعربية والدولية.

* ما تميزت به بلادنا من مناخ يسوده الأمن والاستقرار والاطمئنان، وروح الوفاق الوطني تكافلا وتضامنا، منذ انبلاج فجر التغيير.

* الاختيارات الحضارية لمشروعنا المجتمعي بطابعه الشمولي بقيادة رائد التغيير، الذي وفق، وبتوازن بناء في الجمع بين جدلية الأصالة والتفتح من جانب، وجدلية التراث والمعاصرة من جانب آخر، وهما خاصيتان أساسيتان

# في فعاليات تونس عاصمة ثقافية 1997

تتميز بهما هويتنا الوطنية في انسجامها مع حركة التاريخ دون انغلاق أو انضواء لنحت مجتمع يرتكز على قيم الحرية والديمقراطية والتسامح وروح التضامن والتعاون وتحترم فيه مبادىء حقوق الإنسان.

إن اتحاد الكتّاب التونسيين اندراجا منه في هذا المشروع الوطني الحضاري الطموح وفي ثقافة عهد التغيير البنّاءة، قرر أن يساهم في هذه السنة النيّرة 1997 بالقيام بالأنشطة التالية : على الصعيدين الوطني والدولي :

**الندوات المنجزة :**

هذه الندوات تكفل الاتحاد بانجاز قسم منها، وأنجز القسم الآخر بالتعاون بين فروعه من جانب واللجان الثقافية الجهوية ومجالس الولايات

من جانب آخر :

* يوم ابن خلدون : افتتح الاتحاد مساهمـاته في فعـــاليات وانشطـــة ـ تونس عاصمة ثقافية 1997 ـ بيوم خصص لابن خلدون وذلك يوم السبت 15 ماري 1997 بـاعتباره رمـزا من رمـوز ثقافتنـا الوطنيـة، استطاع ان يتجاوز الجدود وأن يؤثر في مسار الفكر العربي والانساني.

* نـدوة القصـة التـونسية الحديثـة : 14 ـــ 15 ـــ 16 مـارس 1997 بـالقصرين : بالتعـاون بين اللجنة الثقـافيـة الجهويـة وفرع اتحاد الكتـاب بالقصرين.

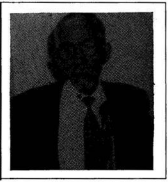
* أدب المجلات : يومي 7 و8 مارس 1997 بسليانـة : بالتعاون مع فرع الاتحاد بالشمال الغربي واللجنة الثقافية الجهوية.

* ندوة التجريب في الرواية العربيـة الحديثة : بالتعاون مع فرع الاتحاد بقابس ومركز الرواية العربية بها، أيام 2 و 3 و4 ماي 1997.

* الكتاب التونسي الواقع والآفـاق : بالاشتراك مع اتحاد الناشرين يومي 18 و19 مارس 1997 بتونس ـ نزل الدبيبلوماسي.

* خيمة الشعر علي بن غذاهم : الدورة الثـانية بالتعاون بين فرع الاتحاد بالقصرين وجمعية خيمة الشعر بجدليان والمندوبية الجهوية للثقافة





الاستاذ الميداني بن صالح



الاستاذة هادية خضار

بالقصرين أيام 21 ـ 22 و23 مارس 1997.

* المسرح التونسي وقضاياه : يومي 17 و18 ماي 1997 ببنزرت : بالتعاون مع فرعه واللجنة الثقافية الجهوية ومجلس ولاية بنزرت.

* الدورة السابعة عشرة لمهرجان الشعر العربي بالجريد : أيام 27 و28 و29 و30 مارس 1997 بالتعاون مع فرع الاتحاد بتوزر والمندوبية الجهوية للثقافة.

* الأدب التونسي بالخارج وجسور التواصل مع الوطن : دار الثقافة المغاربية ا بن خلدون يومي 24 و25 ماي 1997 بدعم من وزارة الثقافة وديوان التونسيين بالخارج.

* الثقافة وتكنولوجيا الاتصال : أيام 30 و31 ماي و1 جوان 1997 بالقصرين : بالتعاون مع فرع الاتحاد بالقصرين والمندوبية الجهوية للثقافة.

* الايام الثقافية التونسية بفرنسا : أيام 13 ــ 14 و15 جوان 1997 بفضاء بوتزاريس بدعم من وزارة الثقافة وديوان التونسيين بالخارج وبالتعاون مع التجمع الدستوري الديمقراطي بباريس.

وهي الشق الثاني من ندوة الادب التونسي بالخارج وجسور التواصل



الاستاذ محمد القاضي — الاستاذ محمد البدوي

مع الوطن، وقد رأى الاتحاد أن يجعل منها جسرا لمزيد التواصل مع أبناء الجالية التونسية بفرنسا ورجال الابداع والثقافة هناك، إبرازا للوجه الثقافي المشرق لبلادنا وتجسيدا لقيم المواطنة، وتعريفا بمساهمات أبناء هذا الوطن في الحضارة المتوسطية والانسانية عموما.

وقد أفرد هذا العدد من مجلة «المسار» التي يصدرها اتحاد الكتاب التونسيين لأعمال هذه الندوة بشقيها المنعقدين بتونس وباريس.

ويأمل الاتحاد أن يجد الدعم لهذا العدد الذي سيسهم في إشعاع تونس التغيير وقيمها الحضارية الانسانية من أطراف من بينها :

- وزارة الخارجية
- ديوان التونسيين بالخارج
- كتابة الدولة لإعلام
- وكالة الاتصال الخارجي
- تجمع التونسهين بفرنسا



الاستاذ جميل شاكر



الاستاذ حسونة المصباحي





الاستاذ مصطفى الكيلاني



الاستاذ محمد مصمولي

ندوة

# تونس والحوار الثقافي والحضاري



إن الدور الذي اضطلعت به تونس في حوار الثقافات منذ قديم العصور لم يفتأ يتعزز بمر الزمان، وذلك انطلاقا من عهد قرطاج وعلاقاتها بالضفاف الشمالية للمتوسط، ومرورا بالقيروان وصلاتها الوثيقة ببالرمو ومدن إسبانيا وشنقيط وتمبكتو وجنوب الصحراء الإفريقية، واستقبال تونس لهجرات الاندلسيين ابتداء من القرن الثالث عشر ثم القرنين السادس عشر والسابع عشر، وما نشأ من علاقات بين تونس وأوروبا في عصر النهضة، ووصولا الى العصر الحديث الذي قام فيه رجال الإصلاح بدور فاعل في توثيق عرى هذا التواصل الفكري بين تونس وأوروبا.

إن هـذا التراث الممتـد يثبت عـراقــة بـلادنـا في إرســاء الـحوار الثقـافي والحضاري بين الشعوب، وقد ترسخ هـذا الرصيد في العهد الجديد وتجسد خاصــة في اتفاق الشراكة بين تونس والمجمـوعة الاوروبية وفي عهد قـرطاج للتسامح.

وفي ضوء هذه المعطيـات قديمها وجديدها يعقـد اتحاد الكتاب التونسيين أيام 28 و29 و30 نوفمبر 1997 نـدوة فكرية بمشاركة أسـاتذة تونسيين مختصين في قضـايـا التاريـخ والحضارة، وأسـاتـذة أجـانب مختصين في الحضارة العربية الاسلامية في ضفاف المتوسط ويقترح لها المحاور التالية :

ـ التراث التونسي في حوار الثقافات.

ـ العهد الجديد وحاضر الحوار بين الثقافات في تونس.

ـ تـونس وآفاق القرن الـواحد والعشرين : استشراف الـدور التونسي في تمتين الحوار بين الثقافات.

ولما كانت غـايتنا الأسـاسية من عقـد هذه النـدوة، أن نعرّف الغير بهذه التجربة ونعطيه صورة عن تونس اليـوم فقد رأينا أن تقام الندوة في تونس أساسا وتنطلـق ببعض محاورها في فرنسا . وستلقى هذه المداخلات :

ـ بالعربية لمخاطبة التونسيين والمغاربة والعرب عموما بالخارج

ـ بالفـرنسية لمخـاطبـة المثقفين ورجال الإعـلام وأبناء الجيلين الثـاني والثالث في فرنسا.

# الندوات التي سيعمل الاتحاد على إنجازها بالتعاون بين فروعه



* تـونس والحوار الثقافي والحضـاري : «ندوة دوليـة» تونس 28 و29 و30 نوفمبر 1997

* دور الثقافة في عملية التأهيل : ولاية أريانة

* المنـاطق الواحيـة والاشعـاع الثقـافي لتونس جنـوب الصحراء ومهرجان الشعر العربي : ولاية توزر أيام 5 و6 و7 ديسمبر 1997.

* البشير خـريف وتطور القصـة التـونسية : ولايـة بن عروس 18 و19 اكتوبر 1997

* قصيد النثر في الشعر العربي الحديث : ولاية قفصة

# والمندوبيات الجهوية للثقافة ومجالس الولايات خلال بقية الموسم

* ملتقى ابن رشيق للنقد الادبي : ولاية القيروان أيام 12 و13 و14 ديسمبر 1997

* تونس في عيون الغير : ولاية نـــابـــل

* منزلة الادب التونسي في مؤسسات :

ـ التعليم العالي

ـ البحث العلمي

ـ التعليم الثانوي

ـ وسائل الاعلام

* أي دور للشعر العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين : نـادي الشعر بـاتحاد الكتاب التـونسيين «تـــونـــس».

## كتــاب

# ترانيــم

### أشعار تونسية مرسومة

هو العنوان الـذي اختاره عامر رشـاد لكتابه، وهذا الكتـاب ما هو في واقعه إلا مختارات شعرية مرسومة.

هذا الكتاب لا أعرف له مثيـلا فيما نشر بتونس من المؤلفات الشعرية المرسومة إلا ديوان «رباعيات الخيام» الصادر عن الدار التونسية للنشر، وربما باسلوب وجـد مثله في مواقع أخرى من العـالم العربي، ولكنني لا اذكر أنني صادفته.

هذا الكتاب إيقاعات تشكيلية، يرددها فنان مهوس بفنه، وآلية تفصح عن ثقافة مؤلفها المتينة وحسه الـرهيف. فالمدة التي قضاها عامر رشاد بتونـس لا تؤهل غيره أن ينـدمج في الحياة اليـومية فضلا عـن تعمقه في




الحياة الفكرية.



من خلال هذه الاشعار المنتقاة المختارة، أمكن لعامر رشاد ان ينفذ الى الشعر التونسي بكل عفويته المجسدة في لوحاته. لقد عرف من قديمه وحديثه ما لم يعرفه بعض شعراء هذا البلد انفسهم. وحسبي أن أذكر ما اخذه من قصيد لمحمد الرشيد باي في لوحة لم تنشر بهذا الكتاب. (وهذا الشاعر قد حكم البلاد التونسية في بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي. أو ما أخذه من الاستاذ أبو القاسم محمد كرو، والمعروف عن هذا الرجل أنه باحث ودارس وقلما عرفه الغير مبدعا شاعرا).

هذه الرسوم، عفوية تعبيرية في مجملها، رمزية في خفاياها. فهي فن

أدبي لا يخلو من متعة شكليـة وقيمة تشكيلية وخيال واسع حـر، فعامر رشاد بفنه هـذا قد تميّز بصدق المشاعـر، ورفعة الشخصية، والبراءة أو حتى العفويـة المطلقة، بل السـذاجة أحيانـا، كلها كـانت القاسم المشترك لفنه، فلـوحاته تحمل اسلوبـا متميزا قل أن نجده عنـد غيره ان لم نزعم تفرده به. وإن كان أسلوبه يذكرني بالفنان الجزائري «راسم».

فالجمالية المطروحة من خلال هذه الخطوط الثابتة المستقيمة حتى في اعوجاجهـا وانحناءاتها الدقيقة ذات اللـون الواحد الأسود قـد بلغت حد الاتقان. فما كانت في واقعها إلا تجليات صوفية تقاطرت من نفس جريحة لا تأخذ فيها الاشياء حجمها الطبيعي في عمق تجربتها المؤلمة .

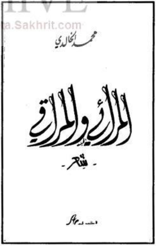
فعامر رشـاد الذي يعيش محنة واقعه لم يبحث عن شـهرة مـوسومة بهالة الإتقان ولا المرتبـة العلية التي تؤهله أن يحتل مكـانة راقية في سلم المجد الفني. لقد أحب فنـه وأخلص له وينعشه كثيرا أن يغوص في أعماق تراثه باحثا جادا. ففي المعانات قوّته ورضاه.

**محمد الهادي بن صالــح**

**منوبة في 26/10/1996**

# إصدارات


حسين الغمواجي
حومة الباي


محمد الخالدي
المرائي والمراقي
- شعر -

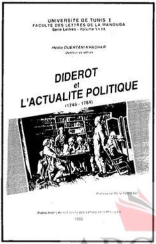
# إصدارات


راضية الرياحي
وردة حدقها نخل




عبد العزيز الحاجي
غميس اليمام
- شعر -

# إصدارات








OFFPRINT

STUDIES ON VOLTAIRE
AND THE EIGHTEENTH CENTURY

333

HÉDIA KHADHAR

La description de l'Afrique
dans l'*Histoire des deux Indes*

*de*

L'*Histoire des deux Indes*
réécriture et polygraphie

*textes présentés par*
HANS-JURGEN LUSEBRINK
*et* ANTHONY STRUGNELL

VOLTAIRE FOUNDATION
1996

# إصدارات






ORIENT ET LUMIERES

Colloque de Lattaquié

29 Septembre – 2 Octobre 1986

TEXTES RECUEILLIS

par

*Abderrahman MOALLA*

Université de Grenoble III

1987

# محتويات العدد


| المادة | المؤلف | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| اضاءات من خطاب سيادة الرئيس زين العابدين بن علي رئيس الجمهورية في اليوم الوطني للثقافة 14 جانفي 1997 | | 3 |
| كلمة الدكتور عبد الباقي الهرماسي وزير الثقافة في حفل افتتاح ندوة «الادب التونسي بالخارج وجسور التواصل مع الوطن» | | 4 |
| بانوراما الادب التونسي في الخارج | بقلم : هادية خضار<br>ترجمة . ابو بكر العيادي | 8 |
| ببليوغرافيا الادب التونسي الناطق بالفرنسية للكتاب المقيمين بالخارج من 1958 الى 1996 | | 18 |
| المكان والرؤية في «هلوسات ترشيش» لحسونة المصباحي | بقلم : محمد القاضي | 28 |
| حول أوجه من الادب الذي يكتبه بعض التونسيين بلغة فولتير ـ ملاحظات أولية وملاحظات مضادة | بقلم : محمد مصمولي | 39 |

| المـــادة | المؤلـــف | الصفحة |
|---|---|---|
| صـورة المهجر في «متـاهة الـرمل» للحبيب السـالمي بين حلم الهجـرة والرؤية المصاحبة | بقلم :مصطفى الكيلاني | 46 |
| تونس في رواية المهجر .... رواية متاهة الرمل نموذجا | بقلم :محمد البدوي | 56 |
| زبد البحور أو الابحار في الشعر | بقلم : محمد الغزالي | 70 |
| إشكالية الكتابة الـروائية عند عبد الوهاب المؤدب | بقلم : جميل شاكر | 78 |
| الغربة في «مسابح الوصل» للطاهر البكري | بيار ريفاس ترجمة : ابو بكر العيادي | 88 |
| نـدوة الادب التـونسي في المهجـر وجسور التواصل مع الوطن 24 ـ 25 ماي 1997 | | 98 |
| الروائي صلاح الدين بوجاه | اجرى الحوار : انور عبد المحسن | 102 |
| قصة اللقاء | ابو بكر العيادي | 113 |
| الى أمي في ذكراها الخامسة | شعر : محمد الغزالي | 128 |
| يا شعراء اتحدوا | شعر : محمد الرفرافي | 130 |
| طبقات الشعراء في ذكرى ابن قتيبة | شعر : الطاهر البكري | 142 |
| قصيدتان | شعر : عبد اللطيف الزبيدي | 146 |

| الصفحة | المؤلف | المادة |
| --- | --- | --- |
| 155 | | النشاط الثقافي لاتحاد الكتاب بالخارج : مساهمة التاصيل والاشعاع وربط جسور التواصل مع الوطن |
| 159 | | برنامج الايام الثقافية التونسية بفرنسا |
| 161 | بقلم : ملاك ميم | الايام الثقافية بفرنسا.. بادرة اخرى في تفعيل اشعاع تونس بالخارج |
| 172 | | كلمة السيد وزير الثقافة الدكتور عبد الباقي الهرماسي في اختتام اشغال الايام الثقافية التونسية بفرنسا يوم الاحد 16 جوان 1997 |
| 180 | | مساهمات اتحاد الكتاب التونسيين في فعاليات تونس عاصمة ثقافية 1997 |
| 186 | | ندوة تونس والحوار الثقافي والحضاري |
| 188 | | الندوات التي سيعمل الاتحاد على إنجازها بالتعاون بين فروعه والمندوبيات الجهوية للثقافة ومجالس الولايات خلال بقية الموسم |
| 190 | بقلم: محمد الهادي بن صالح | كتاب ترانيم اشعار تونسية مرسومة |

# المســـــار

## مجلة اتحاد الكتاب التونسيين


التوزيـــع

مؤسســة سوتيبــراس - تونس

الادارة : اتحاد الكتاب التونسيين - 20 شارع باريس - 1000 تـونس
الهاتف : 591 257 - الحسـاب الجـاري بالبريـد : 83 / 2212
السـعــر للعـمـوم : 2 د . ت - للمؤسسـات : 3 د . ت
العـدد المـزدوج : للعموم 2,5 د . ت - للمؤسسات : 4 د . ت
الاشـتـراك السنوي العـادي : 8 د . ت - التشجيعي : 20 د . ت
في البـلاد العربيــة : 20 دولار - في البـلاد الاخـرى : 25 دولار
الادارة المالية : محمد الغنجاتي

طبعت في
مطبعة فن الطباعة
42 نهج المختار عطية - تونس
(ARTYPO)